الولاية

في القرآن

للعلامة السيد
صباح شبر الحسيني

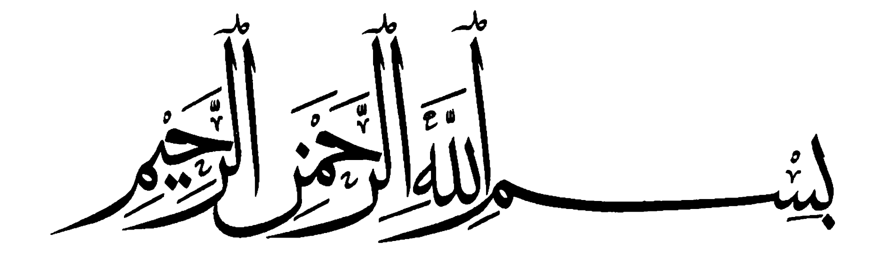
الولاية

في القرآن



للعلامة السيد

صباح شبر الحسيني


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

هناك مجموعة كبيرة من الآيات الكريمة وردت فيها روايات عن أهل البيت عليهم السلام وعن غيرهم أيضا ، تفسر نزولها بأهل البيت عليهم السلام أو بأمير المؤمنين عليه السلام .

وهذا الكتاب موضوع لتطبيق الرواية على الآية عن طريق التشقيق العقلي أو الفهم العقلائي بحيث نفهم من الآية الكريمة المعنى المراد بشكل مستقل عن الأثر الروائي فتكون الرواية دليلاً على معنى الآية ويكون الاستدلال العقلي والعقلائي دليلاً آخر ، بحيث لو نوقش في سند الرواية مثلا يكون الطريق الأخر وافياً بالمطلب ، أما استقصاء الأدلة النقلية سندا والبحث عن تفاصيلها عندنا وعند مخالفينا فهو بحث تكفلت به كتب مفصلة كثيرة لذا لم نذكر بعد كل

آية سوى حديث أو حديثين مع أنّه يوجد في بعضها عشرات أو مئات الأحاديث .

ولست أنزّه هذه الطريقة في الاستدلال عن خطإ مّا - فالإنسان عرضة لذلك - لكنّه لو وجد فهو غير مؤثر في دلالة الرواية بتاتاً ، فإنها - اعني الرواية - تبقى على وضعها وحجّيتها سواء أصاب الطريق الأخر أم لا .

وليلحظ القارئ أنّ بعض الوجوه عقلية قطعية لدورانها بين النفي والإثبات مثلاً وبعضها ترجيحية بحيث يكون المعنى المطلوب هو الأقرب من غيره فلا يشكل علينا بأنّه كما هو محتمل فغيره كذلك لأنّ احتمال الغير لا ينفي أرجحيته وبالتالي اقربيّته إلى الحقّ .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ **أَمْ لَهُم نَصيبٌ مِنَ الْملْكِ فَإِذاً لاَ يُؤتونَ الناسَ نَقيراً ، أَم يَحسُدونَ الناسَ على مَا آتاهُمُ ا للهُ مِن فَضلِهِ فَقَد آتيَنا آلَ إِبراهيمَ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وَآتيَناهُم مُلكاً عَظيماً فَمِنهُم مَن آمَنَ بِهِ وَمِنهُم مَن صَدَّ عَنهُ وَكَفى بِجَهَنَّمَ سَعيراً** ﴾ . النساء (٥٣)

الكافي : عدةّ من أصحابنا ، عن احمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن محمد بن فضيل عن أبي الحسن عليه السلام في قول ا لله تبارك وتعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم ا لله من فضله) قال : نحن المحسودون .

الكافي : علي بن إبراهيم ، عن محمد ابن أبى عمير ، عن عمر بن أذينة ، عن بريد العجلي ، عن أبى جعفر عليه السلام في قوله تبارك وتعالى : (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وأتيناهم ملكاً عظيماً) قال : جعل منهم الرسل والأنبياء و

الأئمّة ، فكيف يقرّون في آل إبراهيم عليه السلام وينكرون في آل محمد صلى الله عليه و آله وسلم ؟

قال : قلت : وأتيناهم ملكاً عظيماً ؟

قال : الملك العظيم أن جعل فيهم أئمّة ، من أطاعهم أطاع الله ، ومن عصاهم عصى الله ، فهو الملك العظيم .

أقول : الآية الكريمة وحدها بلا نظر إلى الروايات المفسّرة لها تدلّ بصراحة على وجود حسد من أناس لأناس آخرين في موضوع محدّد هو من عطاء الله عزّ وجل وفضله .

الآية المباركة تستنكر ذلك الحسد وتردّده باعتبارين .

الأوّل : أنّ هناك نظيراً ومشابهاً لهؤلاء الذين أعطوا هذا الفضل فهل يصح لكم حسد أولئك أيضاً ؟

وإذا لم يصحّ و لم يقبل ذلك منكم ورفض .. فهنا كذلك لان حكم الأمثال في ما يجوز ومالا يجوز واحد .

الثاني : أنّ هذا الذي صدر منكم (من الحسد) ليس بجديد و إنما سبقكم إليه منحرفون آخرون عندما آتينا آل إبراهيم ذلك فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ، وليس

مهماً ولا طاعناً في آل إبراهيم ولا في هؤلاء المحسودين فعلهم وفعلكم إذ أنّ موعدكم جميعاً النار وكفى بجهنّم سعيراً.

وحينئذٍ نتساءل عن المحسودين - ولا بّد انّهم أشخاص معروفون ذوو أهمية كبيرة - لينزل في شأنهم قرآن يتلى إلى يوم القيامة .

الآية الكريمة تدلّنا عليهم ، وتشير إليهم حيث شبهتهم بآل إبراهيم ولا شبه لآل إبراهيم - وقت نزول الآية - لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ لو كان المقصود غيرهم للزم تشبيههم بمن يضاهيهم ، مثلاً لو كان المقصود بعض الصحابة لشبهتهم الآية بصحابة بعض الأنبياء ولو كان المقصود بعض الأخيار العاديّين لشبّهوا بأمثالهم وهكذا .. إذا المحسودون هم آل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم .

ثم نتساءل عن الشيء الذي حسدوا عليه ، هل هو مال أو جمال أو شاب أو أي شيء آخر .

الآية الكريمة نفسها توضح ذلك الشيء حيث

سبقت بقوله تعالى : أم لهم نصيب من الملك ولحقت بقوله تعالى : فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ، فأنكشف أن الحسد على إيتاء الكتاب والحكمة والملك ، وإلا لما كان لذكر هذه الأمور معنى بل لزم ذكر الشيء الأخر - لو كان - ليتم التشبيه كما هو واضح .

والنتيجة : أن الناس حسدوا آل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم على إيتاء الله تعالى إياهم الكتاب والحكمة والملك العظيم ، ولا شك أن المقصود منصب الملك واستحقاقه وإلا فأي ملك ناله أهل البيت عليهم السلام .

فمنصب الملك والإمامة لأهل البيت كذلك الكتاب والحكمة مما أوتيه أهل البيت عليهم السلام فحسدهم الناس على ذلك واختلفوا ، فمنهم من آمن به ومنهم من صدَّ عنه وكفى بجهنم سعيراً .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقُوا اللّهَ وكونوا مَعَ الصَّادِقين ﴾ . التوبة (١١٩)

الكافي : الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن أحمد بن عائذ ، عن ابن أذينة ، عن بريد بن معاوية العجلي ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، قال : إيانا عنى .

الكافي : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن أبن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل: يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال : الصادقون هم الأئمة والصديقون بطاعتهم .

أقول : الخطاب للذين آمنوا ، ويفيد أن هناك فئة خاصة منهم هم الصادقون يجب على المؤمنين الكون معهم .

هؤلاء الصادقون ليسوا مجرد أناس يصدقون في بعض حديثهم وقد لا يصدقون في البعض الأخر ، لأن الكذبة الواحدة فسق

لا يصح الركون والكون مع فاعلها فهم أذن الصادقون دوما ، كما أن صدور الكذب من أحد ولو جهلا أو سهوا يزيل عنه صفة صادق على الإطلاق وإنما هو كاذب ولو كان معذورا في هذا الحال .

فالنتيجة أن المأمور بالكون معهم هم أناس صادقون على الإطلاق في كل الأمور وفي كل الأحوال وليس هذا إلا المعصوم .

أي أننا أمرنا أن نكون مع المعصومين .. ولم تدع هذه الصفة إلا للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ، أما غيرهم فقد يكذب أحيانا ولو عن جهل أو سهو .

ثم أن الكون معهم لا يعني مجالستهم في منازلهم ومساكنهم إذ لا معنى لذلك ، وإنما المقصود به إتباعهم والإئتمام بهم وهو المطلوب .

قال تعالى : ﴿ **عَمَّ يَتَساءَلونَ عَنِ النَّبَإِ العظَيمِ ، الَّذي هُم فِيهِ مُختِلَفُون** ﴾ . النبأ (٢)

الكافي : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن أبي عمير أوغيره عن محمد بن فضيل ، عن أبى حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام . قال : قلت له : جعلت فداك ، أن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية : (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) قال : ذلك إلى أن شئت أخبرتهم وإن شئت لم أخبرهم ، ثم قال : لكن أخبرك بتفسيرها قلت : عم يتساءلون ؟ قال : فقال : هي في أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول : ما لله عز وجل آية هي أكبر مني ولا لله من نبأ أعظم مني .

أقول : هناك نبأ عظيم ، أبلغ به أناس ، فكانوا مختلفين حياله واتجاهه ، والمقصود بهؤلاء الناس أما الكفار أو المسلمون أو كلاهما ، والنبأ العظيم : أما القيامة كما قال كثير من المفسرين - بغير دليل طبعاً - أو ولاية أمير المؤمنين عليه

السلام كما جاءت به الروايات ، والتي تعتبر دليلا يستند إليـه في التفسير .

أما القول بأن المقصود بالنبأ العظيـم القيامـة فـيرده : أنـه مـن الواضح أن كلمـة (النبـأ) في الآيـة تفيـد شيئاً اخـبر بـه ولم يكون معلوما مسبقا لان النبأ هو الخبر .

وحينئذ نقول : الخطاب – سواء اكان مع الكفار وحدهم أو المسلمين وحدهم أم مـع كلتـا الطـائفتين – فأنـه لا يعتـبر نبـأ وخبرا ، لان الكـل يعرفونـه ويسـمعون بـه غايـة الأمـر انهـم كانوا يقرون به أو ينكرون ، أما اصل المطلب فهـو بـالغهم ، فكيف يعبر عنه بالنبأ ؟

وهل يصح أن يقال : انه قد جاء للمسلمين نبأ يقول : هنـاك يـوم اسمـه يـوم القيامـة ، أو أن هـذا النبـأ جـاء للكفـار أو للجميع ؟

نعـم يصـح أن يقـال : جـاء الأمـر باعتقـاد وجـود يـوم هـو يوم القيامة .ثم نتساءل أيضا : أين الاختلاف في هـذا النبـأ ؟ المسلمون يعتقدونه ولايختلفون فيه ، الكفار الذين ابلغوا بالخبر

ولنفترضهم مشركين أما انهم يعتقدونه حسب دينهم أولا بلاخلاف بينهم ظاهرا ، ولم يبلغنا تاريخيا وجود اختلاف بينهم في الأمر وان كان الخطاب للجميع - المسلمين والكفار - فأيضا لايصح لفظ التساؤل ، إذ المسلمون يعتقدونه فلا يتساءلون عنه وان سأل الكفار فقط فالمفروض أن يقال : عم يسألون .

إذن : على كل التقادير لا يصح أن يكون المقصود بالنبأ العظيم في الآية يوم القيامة - فلم يبقى إلا القول بالولاية - والآية تنطبق عليه حينئذ تمام الانطباق فهي أولا : نبا وخبر لم يكونوا مسبوقين به .

وثانيا : نبأ عظيم لأن فيه تعيين ولي أمر المسلمين .

وثالثا : هم فيه مختلفون - حتى المنتسبون إلى الإسلام - ولازالوا إلى اليوم مختلفين (فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّما وَلِيُّكُمُ ا للهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنوُا ، الذِّينَ يُقيمونَ الصَّلاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكاةَ وهُم راكعُونَ ﴾.
المائدة (٥٥)

الكافي : محمد بن يحيى ، عن احمد بن عيسى ، عن محمد بن خالد البرقي ، عن القاسم بن محمد الجوهري ، عن الحسين بن أبى العلا قال : قلت لأبى عبدا لله عليه السلام : الأوصياء طاعتهم مفترضة ، قال : نعم هم الذين قال ا لله عز وجل : (أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وهم الذين قال ا لله عز وجل : (إنما وليكم ا لله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) .

أقول : حصرت الآية الكريمة بمقتضى (إنما) التي هي أداة حصر الولاية في ثلاثة هم : ا لله سبحانه وتعالى ورسوله صلى ا لله عليه واله وسلم والذين آمنوا .

وقبل التكلم في معنى الولاية لابد من لفت النظر إلى أن

الخطاب في الآية مع المؤمنين ، مما يعني أن المقصود بالذين آمنوا شخص أو أشخاص معينون ، إذ لا معنى لان يقال : يا أيها الذين آمنوا أن وليكم الذين آمنوا ، للزوم التمايز بين الولي والمولى عليه كما هو واضح .

هذا أولا ، ثم أن الآية الكريمة لم تطلق الكلمة هكذا وإنما قيدت (الذين آمنوا) بقيد هو (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) .

مما يعني وجود من أدى الزكاة وهو راكع يصلى وانه هو المعني بالولاية دون غيره .

هذا الولي لابد أن يكون معلوما لدي الناس وإلا فلا معنى لتولية شخص مجهول .

وهنا يأتي دور الروايات والتاريخ الذين نقلا لنا من هو المقصود بذلك وبأسانيد تترى من الشيعة و غيرهم ، ألا وهو أمير المؤمنين عليه السلام ولو كان هناك غيره لنقل إلينا بل ولتواتر ليعرفه الناس ويعرفوا وليهم .

قال الشيخ الطبرسي رضوان الله عليه في مجمع البيان : حدثنا

الحاكم أبو القاسم الحسكاني رضوان ا لله عليه قال : حدثني أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه الصيدلاني ، قال : اخبرنا أبو محمد عبدا لله بن محمد الشعراني ، قال : حدثنا السندي بن علي الوراق ، قال : حدثنا يحيى بن عبدا لحميد الحماني ، عن قيس بن ربيع ، عن الأعمش ، عن عباية بن ربعي ، قال : بينا عبد ا لله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم إذ اقبل رجل متعمم بعمامة ، فجعل أبن عباس لا يقول قال رسول ا لله صلي ا لله عليه وآله وسلم ، إلا قال الرجل : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم ، قال ابن عباس : سألتك با لله من أنت ؟

فكشف العمامة عن وجهه ، وقال : يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري ، سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم بهاتين وإلا فصمتا ورأيته بهاتين وإلا فعميتا يقول : علي قائد البررة وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ،

مخذول من خذله ، أما إني صليت مع رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم يوما من الأيام صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً ، فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللهم اشهد إني سألت في مسجد رسول ا لله فلم يعطني أحد شيئا ، وكان علي راكعا فأوما بخنصره اليمنى إليه ، وكان يتختم فيها ، فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم فلما فرغ النبي صلى ا لله عليه واله وسلم من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم أن أخي موسى سألك فقال : ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري ، فأنزلت عليه قرآنا ناطقا : سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاننا فلا يصلون إليكما ، اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيرا من أهلي علياً اشدد به ظهري ، قال أبو ذر : فوا لله ما استتم

رسول ا لله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عنـد ا لله فقـال : يا محمد إقرا ، فقال : وما أقرا ؟ قال : إقرا : إنما وليكم ا لله ورسوله والذيـن آمنـوا .. الآيـة ، وروى هـذا الخـبر أبـو اسحق الثعلبي في تفسيره بهذا الإسناد بعينه ، وروى أبو بكر الرازي في كتاب أحكام القـران علـى مـا حكـى المغـزلي عنـه والرماني والطبري أنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه وهـو راكع وهو قول مجاهد والسدي والمروي عن أبي جعفر وأبـي عبدا لله عليه السـلام وجميـع علمـاء أهـل البيـت .. الخ . مـا رواه الشيخ الطبرسي رضوان ا لله عليه .

إن قلـت : ألا يحتمـل كـون (الـواو) في (وهـم راكعـون) عاطفة أي (وليكم) الذين يصلون ويزكون ويركعون ، لا أنها حالية لتفيد المعنى المطلوب .

قلت : هذا مع كونه مخالفا للروايات الـواردة في تفسـير الآيـة الكريمة فهو أيضا خطا عرفا ونحويا .

أما عرفا : فلعدم تبادر هذا المعنى منه .

و أما نحويا : فان الأصل في العطـف أن يكـون في المتمـاثلات

كعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل وهكذا .

ومن الواضح أن الجمل السابقة هنا فعلية (يقيمون ، يؤتون) فلم عطف عليهما جملة اسمية ، وما المسوغ لذلك ؟

هذا إضافة إلى كون هذا المعنى المدعى مستدركا ، إذ المصلى يركع بطبعه فما معنى أن يقال : يصلون ويركعون .

إن قلت : ألا يحتمل كون المقصود بالركوع الخضوع لله سبحانه فيكون المعنى (والحال انهم خاضعون) ؟

قلت : هذا أولا خلاف ظاهر الركوع الذي هو الفعل المخصوص المقابل للسجود .

وثانيا : كل من يصلي ويزكي يقصد إطاعة أمر الله سبحانه فهو خاضع فلا معنى لاستدراكه .

ثم أن هذين الإشكالين (أعني كون الواو عاطفة وكون الركوع هو الخضوع) على فرض صحتهما فانهمامردودان بالأمر الأول وهو عدم التعيين في فرد من المؤمنين وعدم معرفة الناس لوليهم المتولي أمورهم .

هذا : والمقصود بالولي هو الأولى بالأمر كما هو ظاهر الكلمة يقال :فلان ولي فلان أي الأولى به وبإدارة شؤونه أما غير هذا من المعاني فهو خلاف الظاهر ويحتاج إلى قرينة كما انه لا معنى لولاية الرسول صلى الله عليه واله وسلم لكل المؤمنين في زمانه إلا هذا (أي الأولّوية) أما النصرة ونحوها فلم تتحقق من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لكل مؤمني زمانه مع أن الآية الكريمة عامة وشاملة .

ثم أن هناك إشكالان سخيفان هما :

(أ) إذا كان أمير المؤمنين عليه السلام مستغرقا في صلاته فكيف سمع المسكين ؟

(ب) أليست حركة اليد لإعطاء الخاتم مضرة بالطمأنينة في الصلاة ؟ والجواب عن الأول هو : من قال أن المستغرق في عبادة معينه لا بدّ أن لا يسمع ما يدور حوله من كلام مع أن السماع حالة طبيعية تتلقاها الإذن وتنقلها إلى المخ فيلتفت إلى ما حوله .

وقد أجيبت أجوبة أخرى عن هذا أعرضنا عنها لسخف

الإشكال أساساً .

والجواب على الثاني : أن تحريك اليد بهذا المقدار بل بما هو اكثر منه لا يخل بالطمأنينة خصوصا إذا أمسك الإنسان عن الكلام أثناء الحركة ، ولو لا أن هناك من أورد هذين الإشكالين من المخالفين لما كان لذكرهما وجه لوضوح بطلانهما .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابتَلى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِي جَاعِلُكَ لِلّناسِ إِماماً قَالَ وَمِن ذُرّيتّي قَالَ لا يِنالُ عَهدي الظَّالِمين ﴾ . البقرة (١٢٤)

الكافي : محمد بن الحسن ، عمن ذكره ، عن محمد بن خالد ، عن محمد بن سنان ، عن زيد بن الشحام قال سمعت أبا عبدا لله عليه السلام يقول : أن ا لله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتخذه نبيا و أن ا لله اتخذه نبيا قبل أن يتخذه رسولا و أن ا لله اتخذه رسولا قبل أن يتخذه خليلا وان ا لله اتخذه خليلا قبل أن يجعله إماماً فلما جمع له الأشياء قال : إني جاعلك للناس إماماً ، قال : فمن عظمها في عين إبراهيم قال : ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ، قال : لا يكون السفيه إمام التقي .

أقول : لاشك أن نيل الإمامة لإبراهيم عليه السلام إنما كان بعد طي مراحل ترتبط بعلاقته مع ا لله سبحانه تعالى وذلك لقوله تعالى : وأذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال أني

جاعلك لناس إماما ... الخ وتلك المراحل تشمل النبوة والرسالة والخلة إذ لا معنى للإمامة وكونه متبوعا ما لم يكن قد بنيء من قبل وأعطي رسالة سماوية ، كما أن نفس الامتحان والابتلاء والإتمام تشير إلى أن حالة الارتباط بين إبراهيم وبين ا لله عز وجل ولنسمها حالة الخلة .

المهم : أن إبراهيم عليه السلام فرح بمنصب الإمامة كثيرا بدليل انه لم يكتف بقبولها لنفسه و إنما طلبها لذريته بل لبعض ذريته لقوله : (ومن ذريتي) ولعله لعلمه بعدم إمكان إعطائها لجميعهم .

وكان الرد الإلهي نفيها عن الظالمين والمفيد ضمنا إعطاؤها لغير الظالمين ومن الواضح أن الظالم هنا يشمل الكافر والفاسق - أي من ظلم نفسه - سواء ظلم الناس أيضا أم لا . وذلك لأنه مقتضى مناسبة الحكم للموضوع إذ لا معنى لان يقال : تمنع الإمامة عمن يظلم الناس لكن تعطى للكافر والفاسق و إن لم يظلم ، بل باعتبارها منصبا شريفا يعطاه الأنبياء فالأصل فيه منعه عن كل منحرف عن الدين

فيشمل ظالم الغير تبعًا والأصل ظلم النفس .

ثم أن نفي شيء عن شيء لابد أن يكون بمثابة يكون فيه نوع خفاء على السامع إذ مع وضوحه ومعلوميته يكون مستهجنا ، مثلا لو قال قائل : أن اليهودي والنصراني لا يكون إماما للمسلمين كان كلامه سخيفا ومستهجنا وذلك لوضوح الأمر ومعلوميته .

وحينئذ نقول : الكافر أو الفاسق أما أن يكون بهذه الحال كل عمره أو بعضه والثاني أما أن يكون كذلك أول حياته أو آخرها .

فهذه ثلاثة أقسام :

أ - الكافر والفاسق كل العمر .

ب - الكافر أو الفاسق أول حياته أو بعضها لا آخره .

ج - عكس الثاني .

أما الأول فواضح عدم أهليته للإمامة ولا معنى لأن تكون الآية بصدد ذلك بل حتى إبراهيم عليه السلام لم يقصد إعطاء الإمامة للكافر كل عمره .

وكذلك القسم الثالث - اعني من كان أول حياته مؤمناً لكنه ينحرف ويموت على الكفر أو الفسق - أفهل يعقل إعطاء الإمامة لمثل هذا أو أن يكون إبراهيم عليه السلام بصدد طلبها له ؟

إذن بقى القسم الثاني وهو من كان في أول حياته منحرفا وصح أمره في آخر العمر فهذا أمره قابل للنفي والإثبات ، وقد نفى ا لله سبحانه عنه الإمامة مما يفيد أن من كان في جزء من حياته كافرا أو عابد للوثن أو فاسقا ولو قليلا لا تصح الإمامة له .

والنتيجة : أن الإمام لابد أن يكون معصوما من الزلل ومفطوما من الخلل والخطل كل آنات عمره وهذا ما لم يدع ولم يتوفر إلا في أمير المؤمنين و أبنائه الطاهرين عليهم السلام .

قال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ . هود (١٧)

تفسير البرهان : محمد بن يعقوب ، عن الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي ، عن احمد بن عمر الخلال قال : سالت أبا الحسن عليه السلام عن قوله عز وجل : (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد من) فقال : أمير المؤمنين عليه السلام الشاهد من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ورسول الله على بينة من ربه .

أقول : صدر الآية على قول كل أو جل المفسرين يقصد به رسول الله صلى الله عليه اله وسلم إنما الكلام في المقصود من كلمة (شاهد منه) فقيل انه القران وقلنا انه أمير المؤمنين عليه السلام .

أما ما قالوه فهو مجرد قيل وادعاء لا دليل عليه إلا مجرد الإمكان والاحتمال ، وهذا لا ينفع شيئًا لأن القرآن كلام الله عز وجل أنزله إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم معجزة وإلى

الخلق نوراً وهدى فما معنى قيل كذا وقيل كذا كما هو دأب المفسرين أو بعضهم ثم ينتهي الأمر هكذا بلا دليل - و إنما المعتمد ظاهر الآية الكريمة أو دليل العقل فيها أو النقل كل في مورده .

إضافة إلى هذا - اعني عدم الدليل عليه - يوجد في الآية قرينة على العدم وهو كلمة (منه) إذ القران من الله عز وجل لا من رسوله صلى الله عليه واله وسلم فان قيل انه منه باعتبار تبليغه إياه .

قلنا : هذا مجاز ولا يصار إليه من دون دليل .

أما على قولنا بان المقصود بالشاهد منه أمير المؤمنين عليه السلام فالآية منطبقة عليه من عدة جهات وانه من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعدة اعتبارات هي :

أ) كونه أهله .

ب) كونه من أتباعه (فمن تبعني فانه مني) .

ج) كونه مرتبطا به اشد ارتباط أعظمه في عسره ويسره.

وعلى هذا فأمير المؤمنين عليه السلام هو الشاهد من رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي أن الله سبحانه اعتبره شاهدا لصحة الرسالة وكفى بهذا عظمة وفضلا ، فما بالك بالذي تقوم الرسالة الإسلامية على شهادته هل لأحد أن يتقدمه أو يجعله مأموماً ؟

قال تعالى : ﴿ **وَوَهَبنا لَهُم مِن رَحمَتِنا وَجَعَلنا لَهُم لِسانَ صِدقٍ علياً** ﴾ . مريم (٥٠)

في تفسير البرهان عن علي بن إبراهيم : وجعلنا لهم لسان صدق عليا يعني أمير المؤمنين عليه السلام .

علي بن إبراهيم : حدثني بذلك أبي عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام .

في تفسير البرهان : محمد بن العباس ، قال : حدثنا أحمد بن القاسم قال : حدثنا أحمد بن محمد السياري عن يونس بن عبدا لرحمن ، قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : أن قوما طالبوني باسم أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب ا لله عز وجل ، فقلت لهم : من قوله تعالى : وجعلنا لهم لسان صدق عليا ، فقال : صدقت هو هكذا .

أقول : قال كثير من المفسرين : أن كلمة (عليا) صفة للسان ، وأن المقصود بلسان الصدق الذكر الجميل وما قاربه ، وهذا الكلام في حد ذاته ممكن ، إلا أن مما يبعده

كونه موغلا في المجازية ، والدليل على ذلك انك لو سألت أي إنسان عن معنى جملة (لسان صدق عليا) لتوقف برهة قبل أن يمكنه الإتيان بهذا المعنى لها ، وربما لا يصل إليه أبدا ولا يلتفت إليه إلا إذا ذكرت له مقالة المفسرين .

لكن لو رجعنا إلى ما ذكرته الرواية عن أهل البيت عليهم السلام وهو أن المقصود بالآية أمير المؤمنين عليه السلام وانه هو لسان الصدق الذي جعل للأنبياء عليهم السلام لوجدنا انطباق الآية عليه أساسا وفهمه منها أوضح كثيرا ، بل هو الظاهر منها والظهور حجة .

تقرير ذلك : أن أمير المؤمنين عليه السلام هو ابن أولئك الأنبياء العظام فالجعل التكويني بينه وبينهم حاصل من هذه الجهة بوضوح .

كما انه عليه السلام المصداق الأعظم للسان الصدق عملا ومقالا .

أما عملا فواضح - إذ هو مولى المتقين - وأما مقالا فهو أفصح المتكلمين وأعظمهم بعد رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم .

ثم أن اسمه الشريف هو الوحيد الذي يمكن تطبيق الآية عليه إذ لا مسمى بهذا الاسم - في ذرية الأنبياء - غيره يمكن تطبيقها عليه خصوصا وقت نزول الآية الكريمة .

وهذه الأمور مجتمعة أو متفرقة تكفي للقول بأنه عليه السلام مقصود بالآية . كل هذا إضافة إلى التبادر العرفي ، وذلك انك لو سألت أي إنسان لم يسبق له البحث عن معنى الآية وقلت له ما المقصود بكلمة (عليا) .

لقال : أن هناك شخصا اسمه علي هو لسان الصدق المجعول للأنبياء ومعلوم لا أحد من المسلمين بهذا الاسم تنصرف إليه الآية إلا هو عليه السلام .

قال تعالى : **﴿ إِنّا عَرَضنا الأَمَانَـةَ عَلـى السَّـماواتِ وَالأَرضِ وَالجِبالِ فَأَبَينَ أَن يَحمِلنَها وَ أشفَقنَ مِنها وَحَمَلَهـا الإنسـانُ إِنّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾** . الأحزاب (١٧٢)

تفسير البرهان : محمد بن يعقوب ، عن محمد بن يحيـى ، عـن محمد بن حسين ، عن الحكم بـن مسـكين ، عـن اسـحق بـن عمار ، عن رجل عن أبي عبدا لله عليـه السـلام في قـول ا لله عز وجل : (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشـفقن منهـا وحملهـا الإنسـان انـه كـان ظلومـا جهولا) قال : هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام .

تفسير البرهان : عن ابن بابويه ، قال حدثنا محمد موسـى بـن المتوكل رضـي ا لله عنـه ، قـال : حدثنـا عبـدا لله بـن جعفـر الحميري ، عن احمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن علي بن فضال ، عن مروان بـن مسـلم ، عـن أبـى بصـير ، قـال : سألت أبا عبدا لله عليه السلام عن قول ا لله عز وجل : (إنـا عرضنـا الأمانـة علـى السـماوات والأرض والجبـال فـأبين أن

يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهول) ، قال : الأمانة الولاية والإنسان هو أبو الشرور المنافق .

أقول : اختلف المفسرون في معنى الأمانة هنا وكل قال من عند نفسه قولا ، فبعض ادعى أن المقصود بالأمانة الأمانة العادية المتعارفة التي يضعها الناس بعضهم عند بعض ، و آخرون قالوا إنها الصلاة أو بعض العبادات الأخرى ، ولكنها جميعا مردودة .

أما القول بأنها الأمانة العادية فيرد عليه انه لا معنى حينئذٍ لوصف من يحملها بكونه ظلوما جهولا .

الصلحاء يتحملون الأمانات والأنبياء كذلك يتحملونها .

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم موضعا لأمانات الناس – كما ذكره المؤرخون قاطبة – ولذا لقب بالصادق الأمين فكيف يكون المتحمل للأمانة ظلوما جهولا ؟

و أما القول بأنها الصلاة أو أية عبادة أخرى ففيه إشكال اكثر وقبح اكبر إذ لا معنى لكون المتحمل للصلاة والعبادة

ظالمًا جاهلاً .

نعم التفسير الوارد عن أهل البيت عليهم السلام والذي جاءت به رواياتهم هو المقبول عقلائياً والمنطبق على مؤدى الآية الكريمة .

توضيحه : أن الإمامة والولاية منصب ولا كالمناصب له آثار عظيمة منها جواز الأمر والنهي على الناس ، بحيث يكون ذلك الأمر والنهي نافذين عليهم ولا يحق لأحد التخلف عنهما .

وهذا لا يصح لأحد أن يحمله ويتحمله لمجرد أن انتخب من قبل الناس رئيسا أو لمجرد انه استولى على السلطة بطريقة أو بأخرى .

ولا مناص حينئذ من جعل الهي فيه ليكون نافذا على الخلق ، وقد مرت وتأتي - إنشاء الله تعالى - الآيات الكريمة الناصة على ذلك كقوله تعالى : إني جاعلك للناس إماما ، أني جاعل في الأرض خليفة ، يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض .

وحينئذٍ فالمتحمل لهـذه المرتبـة والناسـب نفسـه إلى الإمامـة – كما فعل الكثيرون – من دون جعل ألهي فهـو ظلـوم جهـول وان السماوات والأرض والجبال عرض عليها هـذه الأمانـة – تقديرا أو تحقيقا – فأبين أن يحملنهـا و أشـفقن منهـا . فالآيـة تنطبق على أمر الإمامة والولاية تمام الانطباق .

هذا : ومما يدل على ما ذكرناه بوضوح أن الآية اللاحقة لهذه الآيـة هـي: (ليعـذب الله المنـافقين والمنافقـات والمشـركين والمشركات ويتوب الله علـى المؤمنـين والمؤمنـات وكـان الله غفـورا رحيمـا) . إذ لا معنـى ظـاهر في ارتبـاط الآيتـين لـو فسـرت الأمانـة بالمتعارفـة بـين النـاس ، أو بـالصلاة والصيـام وسائر العبادات ،في حين يكون الارتباط واضحا وكـاملا لـو فسـرت الأمانــة بالإمامــة والولايــة حيــث يكــون مخالفهــا ومعارضها والمستولي عليهـا دون حـق منافقـا ومشـركا ، أمـا الموافق عليها المتبع لأهلها فهو مؤمن مغفور له .

قال تعالى : ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَستَ مُرسَلاً قُل كَفَى بِا لله شَهيداً بَيْني وَبَينكُم وَمَنْ عِندَهُ عِلمُ الِكتاب** ﴾ . الرعد (٤٣)

وقال تعالى : ﴿ **قَالَ الذي عَندَهُ عِلمٌ مِنَ الكتابِ أنا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أَن يَرتَدَّ إِلَيكَ طَرفُك .. الخ** ﴾ . النمل (٤٠)

تفسير البرهان : عن محمد بن الحسن الصفار ، عن احمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سُويد ، عن القاسم بن سليمان عن جابر ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية : (كفى با لله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال : علي بن أبي طالب عليه السلام .

وعنه : عن محمد بن الحسين ويعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة ، عن بريد بن معاوية قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام (قل كفى با لله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال : إيانا عنى وعلي أولنا و أفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى ا لله عليه واله وسلم .

أقول : الآية الكريمة الثانية (قال الذي عنده علم من الكتاب ..الخ)

تتحدث عن واقعة حصلت عند نبي الله سليمان بن داود عليه السلام عندما قال : أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (أي عرش بلقيس) قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك و إني عليه لقوي أمين (قالوا : قال أريد أسرع من ذلك) قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك (وهكذا كان) حيث قالت الآية بعد ذلك : فلما رآه مستقرا عنده .. الخ .

إذن كان هناك شخص عند علم (من) الكتاب ، استطاع أن يفعل ما يشبه المعجزة حيث أتى بعرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس بأسرع من لمح البصر ، فمن هو هذا الشخص ، قال المفسرون هو آصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلام .

هذا والذي كان عنده إنما هو علم (من الكتاب) أي بعض علم الكتاب .

ننتقل الان للآية الكريمة الأولى حيث أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه واله وسلم بان يقول المشركين - بعد أن أنكروا رسالته - انه يكفيني الشاهدان اللذان عندي وهما : الله سبحانه وتعالى ومن عنده علم الكتاب .

وهذا لعمري منصب ودرجه ليس لهما مثيل ، أن يكون شخص قسيما لله تعالى في الشهادة لنبوة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم .

فكونه الشاهد الثاني مع الله سبحانه الذي هو الشاهد الأول منصب وكون شهادته لرسالة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم منصب آخر وكل من المنصبين والدرجتين لايضاهيه شيء . فالرسالة النبوية برمتها متوقفة عليه والذي يقابله في إثباتها هو الله عز وجل .

هذا الشخص - العظيم الشان - عنده علم الكتاب لا علم (من الكتاب) أي علم كل الكتاب ، والذي كان عنده علم (من الكتاب) رأينا ما صنع فما بالك بمن عنده علم كل الكتاب فمن هذا الشخص ؟

هناك قولان أحدهما لغير الشيعة وهو انه عبدا لله بن سلام .
والأخر قول الشيعة وهو انه أمير المؤمنين عليه السلام .
أما القول بأنه عبدا لله بن سلام فلا أظن انه بحاجة إلى تعليق لسخفه العجيب ، إذ من يكون عبدا لله بن سلام لتقوم الرسالة على شهادته ومن هو عبدا لله بن سلام ليكون الشاهد مع ا لله سبحانه وتعالى وحتى لو افترضنا انه رجل خير كان كتابيا من أهل العلم ثم اسلم ما شئت فقل فيه .
با لله عليك كم مسلم اليوم يعرف شيئا عن عبدا لله بن سلام هذا ؟
سل أي مسلم شئت على ماذا تعتمد في صحة الإسلام واعتباره ؟
هل سيجيبك أحد باني اعتمد بعد ا لله سبحانه على عبدا لله بن سلام؟
ثم أي موقف لهذا الشخص وأي جهاد وأي فضل ليكون كذلك ؟ الشخص الذي يقوم علي الإسلام هو العظيم .. والمشهور .. والنافع .. والعالم .. والمجاهد ..و الذي لولا

مواقفه العديدة لتغير الوضع أيما تغير فهل تجد أيها المنصـف في نفسك من له هذه المواصفات غير أمـير المؤمنـين صلـوات ا لله وسلامه عليه ؟

قال تعالى : ﴿ وَأذانٌ مِنَ ا للهِ وَرَسُولِهِ إلى النَّاسِ يَومَ الحَجِّ الأكبَرِ أنَّ ا للهَ بَريءٌ مِنَ الُمشرِكينَ وَرَسُولُه ﴾ . التوبة (٣)

تفسير البرهان : علي بن إبراهيم ، قال : حدثني أبي ، عن محمد بن فضل عن ابن أبي عمير ، عن أبي الصباح الكناني ، عن أبي عبدا لله عليه السلام قال : نزلت هذه الآية بعدما رجع رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم من غزوة تبوك في سنة تسع من الهجرة ، قال : وكان رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم لما فتح مكة لم يمنع المشركين الحج في تلك السنة . . . وساق الحديث إلى أن قال : فلما نزلت الآيات من سورة براءة دفعها رسول ا لله إلى أبي بكر وأمره أن يخرج إلى مكة ويقرأها على الناس بمنى يوم النحر ، فلما خرج أبو بكر نزل جبرائيل على رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم فقال : يا محمد لا يؤدي عنك إلا رجل منك ، فبعث رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم أمير المؤمنين في طلب أبي بكر فلحقه بالروحاء فأخذ منه الآيات ، فرجع أبو بكر إلى رسول ا لله

فقال : يا رسول ا لله انزل ا لله في شـيء ، فقـال: لا ، أن ا لله أمرني أن لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني .

أقول : هناك أذان ولا شك أن هنـاك مـؤذن ، وهـذا المـؤذن مبعوث من ا لله عز وجل كما تنص الآية الكريمة .

هذا : وقد تسالم المؤرخون والمفسرون علـى أن ذلـك المـؤذن هو مولانا أمير المؤمنين عليه السـلام . إلى هنـا والمسـألة تـدل على الجلالة والأهمية، ولكن هنـاك أمـر آخـر . فقـد جـاءت الروايات من الفريقين المخالف و المؤالف على أن رسـول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم أرسل أولا أبا بكر ثم أرجعـه بعـد أن سار مقدارا . وكان الإرجاع بأمر الهـي نـزل بـه جـبرائيل عليه السلام وله سبب وعلة نصـت عليهمـا الروايـات وتلـك العلة وذلك السبب هو : انه لا يبلغ عنـك إلا أنـت أو رجـل منك وهذا التعليل غاية في الأهمية .

وذلك أن المعلول يدور مدار علته وجودا وعدما ، فـإذا كـان لا يجوز ولا يصح أن يبلغ عن النبي صلى ا لله عليه واله وسـلم إلا هـو أو رجـل منه كانـت نتيجة ذلـك بصراحـة ووضـوح

أن الإمامة بعد الرسول صلى ا لله عليه واله وسلم - وهي من أجلى و اعظم مصاديق تبليغ ما جاء به النبي صلى ا لله عليه واله وسلم واعظم جدا من تبليغ بضع آيات كريمة - لابد أن لا تصح إمامة وخلافة شخص لرسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم إلا شخص منه .

وبعبارة أخرى : تبليغ بضع آيات ولفترة محدودة عن الرسول صلى ا لله عليه وآله وسلم لا يجوز ولا يصح إلا بواسطة الرسول نفسه أو رجل منه فكيف بالإمامة العظمى والخلافة الكبرى ؟

أذن فكل إمامة وخلافة باطلة إلا ما كانت لأهل بيت رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم .

قال تعالى : ﴿ **وَيُطعِمونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسكيناً ويتيماً وَ أسيراً . . الخ الآيات الكريمة** ﴾ . الإنسان (٨)

قال الطبرسي في مجمع البيان : قد روى الخاص والعام أن الآيات من هذه السورة وهي قوله : أن الأبرار يشربون إلى قوله : وكان سعيكم مشكورا أنزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة ، وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وأبى صالح . والقصة طويلة بمجملها : انهم قالوا مرض الحسن والحسين عليهم السلام فعادهما جدهما صلى الله عليه وآله وسلم ووجوه العرب وقالوا : يا أبا لحسن لو نذرت على ولديك نذرا ، فنذر صوم ثلاثة أيام إن شافاهما الله سبحانه ، ونذرت فاطمة عليها السلام كذلك وكذلك فضة فبرءا وليس عندهم شيء فاستقرض علي عليه السلام ثلاثة اصوع من شعير من يهودي وروي انه أخذها ليغزل له صوفا وجاء به إلى فاطمة عليها السلام فطحنت صاعا منها فاختبزته ، وصلى علي

المغرب وقربته إليهم فاتاهم مسكين يدعو لهم وسألهم فأعطوه و لم يذوقوا إلا الماء ، فلما كان اليوم الثاني أخذت صاعا فطحنته وخبزته وقدمته إلى علي عليه السلام فإذا يتيم في الباب يستطعم فأعطوه و لم يذوقوا إلا الماء ، فلما كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته وخبزته وقدمته إلى علي عليه السلام فإذا أسير في الباب يستطعم فأعطوه و لم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم أتى علي عليه السلام ومعه الحسن والحسين عليهما السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبهما ضعف ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزل جبرائيل عليه السلام بسورة هل آتى على الإنسان . . الخ .

وفي رواية عطاء عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب عليه السلام أجر نفسه يستقي نخلا بشيء من شعير ليلة حتى اصبح ، فلما اصبح وقبض الشعير طحن ثلثه ، فجعلوا منه شيئا ليأكلوه يقال له الحريرة فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام ، ثم عمل الثلث الثاني فلما تم إنضاجه

أتى يتيم فسئل فأطعموه ، ثم عمل الثلث الثالث فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه فطووا يومهم ذلك ذكره الواحدي في تفسيره .

وذكر علي بن إبراهيم أن أباه حدثه عن عبدا لله بن ميمون عن أبى عبدا لله عليه السلام قال : كان عند فاطمة شعير فجعلته عصيدة فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال المسكين رحمكم ا لله فقام علي فأعطاه ثلثها فلم يلبث أن جاء يتيم فقال اليتيم رحمكم ا لله فقام علي عليه السلام فأعطاه الثلث ، ثم جاء أسير فقال الأسير رحمكم ا لله فأعطاه علي عليه السلام الثلث الباقي وما ذاقوها فانزل ا لله سبحانه الآيات فيهم ، وهي جارية في كل مؤمن فعل ذلك لله عز وجل وفي هذا دلالة على أن السورة مدنية .. الخ كلام الطبرسي .

أقول : هناك فرق بين العطف بأو والعطف بالواو فلو كانت الآية هكذا : مسكينا أو يتيما أو أسيرا لكان فيها احتمال قوي في المثالية أي يطعمون من كان من هذا القبيل .

أما وقد جاءت الآية عاطفة بالواو فالأمر مختلف جدا ، وفيها ظهور قوي واضح في واقعة معينة محددة حصل فيها اطعام لهذه الفئات من الناس . والذي نقلته لنا الروايات الواردة من المخالف والمؤالف أنها في أهل البيت عليهم السلام .

وحينئذٍ نقول : عندما تستطرد آيات القران يتلو بعضها بعضا في نفس الواقعة وفي مدح نفس الأشخاص، آيات عديدة تكاد تأتي على السورة بأكملها وعلى أن تبقى مدى الدهور والأحقاب يتلوها الخلق ويقرأونها في تهجدهم وصلواتهم وغيرها فهذا يعني ماذا ؟ ألا يعني أن هؤلاء القوم تميزا عن سائر الخلق ؟ وإذا كانوا كذلك فهل يحق لأحد أن يتقدمهم أو أن يكون إماما عليهم ويكونوا هم مأمومين وتبعا له ؟

قال تعالى: ﴿ إنّي جَاعِلٌ في الأَرضِ خَلِيفَةً .. ﴾ .البقرة (٣٠)

وقال عز وجل مخاطبا نبيه إبراهيم عليه السلام :

﴿ إنّي جَـاعِلُكَ للنّـاس إمـاماً .. ﴾ .البقـرة (١٢٤)

وقال تعالى:﴿ يا داودُ إنّا جَعَلناكَ خَلِيفَةً في الأَرضِ .. ﴾ .

ص (٢٦)

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن جعـل الإمـام والخليفـة منوط با لله عز وجل .

أقـول : الآيـة الواحـدة دليـل علـى المطلـوب وإذا تكـررت الآيات الكريمة في موضوع واحد كان ذلك كاشفا وبوضـوح عن اعتناء الشرع بذلك الموضوع تمام الاعتناء وانه ليس فقـط مما قرره الشرع وارتضاه و إنما أيضا أكد عليه .

بعبـارة أخـرى : قـد يـذكر أمـر مـا مـرة واحـدة فيحتمـل التخصيص بمورده إلا انه عندما يتكرر يزداد احتمـال التعميـم ويضعف عدمه حتى يصل إلى درجـة القطـع واليقـين . وهـذا بالنظر إلى نفـس التكـرار . وإلا فبملاحظـة الآيـات الأخـرى الناصة على أن هذا الأمر بيد ا لله عـز وجـل فالقضيـة محلولـة

ولا مجال فيها لاحتمال الاختصاص ونحوه .

يقول سبحانه وتعالى : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) ويقول تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) .

وقال عز وجل (أهم يقسمون رحمة ربك) .

أضف إلى هذا ابتداء تلك الآيات الكريمة بأدوات التأكيد وذلك بحدّ ذاته دليل على اختصاص أمر الإمامة بأمر الله عز وجل . ففرق كبير بين جملة (سأجعل في الأرض خليفة) وجملة : إني جاعل في الأرض خليفة .

وكذلك فرق كبير بين أن يقول : جعلتك للناس إماما ، وبين قوله تعالى: إني جاعلك للناس إماما .

وعليه فالإمامة والخلافة جعل إلهي لا ربط للناس بهما فإذا أشير إلى شخص بهذا العنوان أي عنوان الإمامةوالخلافة فلابد وان يكون منصوبا من قبل الله سبحانه ، أما إذا نصبه الناس من عند أنفسهم فهذا ليس إماماً شرعياً .

قال تعالى : ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ وَيُطَهِّركُم تَطهيراً ﴾ . الأحزاب (٣٣)

تفسير البرهان : عن الشيخ في اماليه بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام عن أم سلمة قالت : نزلت هذه الآية في بيتي وفي يومي كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عندي فدعا علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وجاء جبرائيل فمد عليهم كساء فدكياً ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، قال جبرائيل : وأنا منكم يا محمد ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : وأنت منا يا جبرائيل ، قالت أم سلمه : فقلت : يا رسول الله وأنا من أهل بيتك فجئت لأدخل معهم ، فقال : كوني مكانك يا أم سلمة إنك إلى خير أنت من أزواج نبي الله ، فقال جبرائيل : إقرا يا محمد : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم .

إذا أراد الله سبحانه أن يجعل شخصا أو أشخاصا طاهرين ومذهبا عنهم الرجس هل يمكن حينئذ أن يصدر عنهم ذنب أو إثم ما ؟

الجواب واضح وهو العدم وذلك لان إرادة الله تعالى لا يمكن تخلفها عن المراد ، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان كل ذنب وأثم يعتبر رجسا وعدم طهارة وتكون النتيجة حينئذ أن أهل البيت الذين أراد الله تعالى أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا معصومون من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها.

من هنا ننتقل إلى معرفة المقصود بأهل البيت عليهم السلام في الآية الكريمة وهل الآية تشمل نساء النبي صلى الله عليه واله وسلم وبعض أقاربه - غير أمير المؤمنين والزهراء والأئمة الطاهرين - أم لا .

الواضح من التقرير السابق خلاف ذلك لأن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى المؤمنة منهن والتقية لم يكنَّ معصومات ولا يدعي أحد ذ لك ، خصوصاً والقران الكريم

يصرح بإمكانية صدور المعصية منهن ويهددهن اشد التهديد لو فعلن ذلك حيث يقول سبحانه : (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً) لاحظ كلمة (فاحشة) والتي هي أشد أنواع الذنوب بل حاربت بعض نساء النبي إمام زمانها وجنّت على قتله وتسببت في قتل عدد هائل من المسلمين لذا حاولوا حل المشكلة بأنها تابت ، إذن فقد عصت ولهذا احتاجت إلى التوبة ، فالآية الكريمة إذن لا تشمل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أي واحد من أقاربه - ممّن ثبت عدم عصمته بالإجماع ونحوه .

ومن هنا تنحل مشكلة وقوع الآية الكريمة في سياق آيات الخطاب مع نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه بعدما قامت القرينة القطعية على أن المقصود بالآية المعصومين عليهم السلام وان نساء النبي صلى الله عليه واله وسلم لسن معصومات كان السياق غير نافع شيئا فالآية حينئذ مختصة بأهل البيت المطهرين عليهم السّلام وهم رسول الله

وأميرالمؤمنين و الزهراء والحسنان عليهما السلام مضافا إلى تضافر الروايات عند الفريقين في ذلك .

وهنا كلام كان ينبغي تقديمه وهو أن الإرادة الإلهية على قسمين إرادة تكوينية و إرادة تشريعية ، فالتكوينية كإرادته تعالى لوجود السماء والأرض ونحوهما ، والتشريعية كإرادته تعالى من عباده للصلاة والصيام ونحوهما .

وواضح أن التشريعية غير مقصودة هنا لأمرين هنا هما :

أ) أن إذهاب الرجس والتطهير هما من فعل الله عز وجل فلا معنى للأمر بهما تشريعياً .

ب) إنها لو كانت تشريعية فهي مطلوبة من كل أحد إذ كل إنسان يراد منه التطهر والنظافة ولا اختصاص لهما بأحد دون غيره . وعليه فالإرادة في الآية تكوينية وينتج منها ما مر سابقاً .

قال تعالى : ﴿ قُل لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلاّ المَوَدَّةَ فِي القُربى ﴾ . الشورى (٢٣)

علي بن إبراهيم : محمد بن يعقوب ، عن الحسين بن محمد الاشعري ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن المثنى ، عن زرارة ، عن عبدا لله بن عجلان ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : قل لا اسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ، قال : هم الأئمة عليهم السلام.

أقول : الآية تتحدث عن اجر التبليغ ولابد أن يكون شيئا عظيما لأنه أجر لشيء عظيم ثم لابد أن يكون هذا الأجر راجعا إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم لأنه اجر تبليغه ولا معنى لرجوع اجر شخص أدى عملا إلى مورد لاربط له به بعد هاتين المقدمتين الوجدانيتين نجد أن المناسب عقلا وعرفا وشرعا هو كون المقصود بالقربى في الآية قربى الرسول صلى ا لله عليه واله وسلم وذلك لان مودتهم وإكرامهم ومحبتهم يعد بمثابة إيصال هذه الأمور إلى نفس

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذلك واضح فأنك لو
وددت أبناء وأقارب شخص ما لأجل ذلك الشخص و لأنهم
أبناء وأقارب كنت قد قدرت ذلك الشخص و أكرمته .

ولا معنى لما قاله بعض المعاندين من أن المقصود أقارب الناس
بان يكرم كل إنسان قرابته هو ويكون ذلك اجر تبليغ
الرسول صلى الله عليه واله وسلم الرسالة .

بل هذا كلام مستهجن وسخيف لدى كل عاقل إذ أي
ارتباط بين أجر الرسالة و إكرام أناس لاربط لهم بالمبلغ ؟

ثم لما جعلت المودة اجر الرسالة استكشفنا من ذلك عظم أمر
المودة لذي القربى ، لان تبليغ الرسالة من أعظم الأمور
و أهمها وهذا الأمر على عِظمه وجلالته لم يكن له اجر
وعدل سوى مودة آل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم.

ومن هنا نستكشف أيضا علو درجة آل رسول الله ورفعة
منزلتهم عند الله تعالى حتى جعلت مودتهم اجر الرسالة .

ولو كان هناك من هو مساوٍ أو أجل لجعُل معهم أو متقدما
عليهم كما هو واضح .

ومع هذه المنزلة الجليلة التي لا تدانيها منزلة كيف يمكن لأحد أن يتقدمهم ويكون اماما عليهم ويكونوا هم مأمومين له .

بل بالتأمل المنصف نفهم من الآية إنها بصدد إرشاد الخلق إلى انهم عليهم السلام المتقدمون على غيرهم وان على الآخرين متابعتهم .

قال تعالى : ﴿ يا أيهُّا الرَّسولُ بَلّغ مَا أُنزِلَ إلَيكَ مِن ربِّكَ وَإن لَم تَفعَل فَما بَلّغتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاسِ ﴾ . المائدة (٦٧)

تفسير البرهان : عن ابن بابوية ، عن سعد بن عبدا لله ، عن علي بن إسماعيل ابن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن علي بن نعمان ، عن محمد بن مروان ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : (يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) قال : هي الولاية .

تفسير البرهان :محمد بن يعقوب ، عن محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد ومحمد بن حسين جميعا عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن منصور بن يونس عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : فرض ا لله عز وجل على العباد خمسا اخذوا أربعا وتركوا واحدة قلت : أتسميهن لي جعلت فداك ، فقال : الصلوة وكان الناس لا يدرون كيف يعملون ، فنزل جبرائيل عليه

السلام وقال : يا محمد اخبرهم بمواقيت صلواتهم ، ثم نزلت الزكاة فقال يا محمد اخبرهم عن زكاتهم مثلما أخبرتهم عن صلواتهم ، . . . . إلى أن قال : ثم نزلت الولاية و إنما أتاه ذلك في يوم الجمعة بعرفة ، انزل ا لله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) ، وكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عند ذلك رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم : أن أمتي حديثوا عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي يقول قائل : ويقول قائل فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني ، فأتتني العزيمة من ا لله عز وجل قبلة أو عدني إن لم ابلغ أن يعذبني فنزلت : (يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وا لله يعصمك من الناس إن ا لله لا يهدي القوم الكافرين) فاخذ رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم بيد علي عليه السلام فقال : يا أيها الناس انه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمره ا لله تعالى ثم دعاه فأجابه فأوشك أن ادعى فأجيب وأنا مسؤول وانتم

مسؤولون فماذا انتم قائلون؟

فقالوا : نشهد انك قد بلغت ونصحت وأديت ما عليك فجزاك الله افضل جزاء المرسلين فقال : اللهم اشهد ..اللهم اشهد .. اللهم اشهد، ثم قال : يا معشر المسلمين هذا وليكم من بعدي فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، قال أبو جعفر عليه السلام : كان والله أمين الله على خلقه وعيبة علمه ودينه الذي ارتضاه لنفسه ، ثم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضره الذي حضره فدعا عليا فقال : يا علي أني أريد أن ائتمنك على ما أئتمني الله عليه من عيبة علمه ومن خلقه ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه فلم يشرك والله فيها يا زياد أحدا من الخلق ، ثم أن عليا حضره الذي حضره فدعى ولده . . . الخ الحديث الشريف .

أقول : الآية الكريمة في سورة المائدة وهي من أواخر السور المدنية ، بل نفس الآية من أواخر الآيات نزولا حيث نزلت في حجة الوداع بعد الفراغ من أعمال الحج .

وهي ظاهرة الدلالة ناصعة المقالة على أمر عظيم ألزم الرسول

صلى ا لله عليه واله وسلم بتبليغه ، وبلغ عظم ذلك الأمر إلى درجة انه لو لم يبلغ فكأن النبي صلى ا لله عليه واله وسلم لم يبلغ رسالة ا لله سبحانه بأسرها ، وبعبارة أخرى : تبليغ رسالة ا لله تعالى وهي دين الإسلام برمته متوقف على ذلك الآمر هذا أولا .

ثم يبدو أن هذا الأمر خطير يخشى منه على رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم وأنّه في معرض رفضه ورده وقد يعتدون على رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم بسبب تبليغه لذا طمأن ا لله عز وجل رسوله بأنه عاصمه منهم (وا لله يعصمك من الناس) .

هذا كله أتى ونزل بعد تبليغ كل التكاليف الشرعية الأساسية من صلاة وصيام وزكاة وخمس وجهاد وحج . . الخ .

فما هذا الأمر العظيم بهذه الدرجة التي تكون الصلاة والصيام والحج وكل الإسلام في كفة وهو في كفة أخرى بل هو أهم بحيث لو لم يبلغ لكانت تلك الأعمال والتكاليف كلها لاغية لا اثر لتبليغها ولا فائدة فيها . هذا من جهة .

ومن جهة أخرى : هو أمر مثار اختلاف قد تتضارب فيه مصالح كثيرين ممن يدَّعون الإسلام فيرفضونه ويصل بهم الحال إلى حد الاعتداء على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى احتاج إلى عصمة إلهية تدفع شرهم وأذاهم .

العجيب في الأمر أن غير الشيعة لم يذكروا - بل قل لم يستطيعوا أن يذكروا - شيئا يمكن أن يكون بهذه المثابة من العظمة والجلالة والخطورة ليكون جوابا عن التساؤل السابق .

أما نحن فقلنا - وقولنا مستند إلى الدليل والبرهان - أن هذا الأمر العظيم هو ولاية وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، وإذ لاشيء آخر غيرها يتصور هنا وجب أن تكون هي المقصود. فالقضية ليست قضية قول واحد انحصر الأمر فيه فقط بل قضية شيء واحد لا قابلية لغيره بأن يحل محله فتدبر فإنه دقيق .

قال تعالى : **﴿ فَمَن حَاجَّكَ فيهِ مِن بَعدِ ما جَاءَكَ مِـنَ العِلـمِ فَقُـل تَعـالَوا نَـدعُ أبناءَنـا وَأبنـاءَكُم ونسِـاءنا وَنِساءَكُم وَأَنَفَسَنا وَأنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهل فَنَجعَل لَعنَةَ ا للهِ على الكاذِبين ﴾** . آل عمران (٦١)

تفسير البرهان : عن الشيخ في أماليه قال: أخبرنـا جماعـة عـن أبى المفضل ، قال حدثني أبو العباس احمد بن محمد بـن سـعيد بـن عبـدا لرحمـن الهمدانـي بالكوفـة ، قـال حدثنـا محمـد بـن المفضل بن إبراهيم بن قيس الاشعري ، قال : حدثني علي بـن حسان الواسطي، قال : حدثني عبدا لرحمـن بـن كثـير ، عـن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عليه السلام عن عمه الحسن عليه السلام قال:قال الحسن : قال ا لله تعـالى لمحمد صلى ا لله عليه واله وسلم حـين جحـده كفـرة الكتـاب وحاجوه (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك مـن العلـم فقـل تعـالوا نـدع أبناءنـا وأبنـاءكم ونسـاءنا ونسـاءكم وأنفسـنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة ا لله على الكـاذبين) فـاخرج

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأنفس معه أبي ، ومن البنين أنا وأخي ، ومن النساء فاطمة أمي ، ومن الناس جميعا فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه ونحن منه وهو منا .

أقول : من المسلم أن الرسول صلى الله عليه واله وسلم اخرج معه أمير المؤمنين والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام لا غير والروايات في ذلك متظافرة ، ولو ادعى مدعٍ انه قد اخرج معه غيرهم كبعض الصحابة فهذا يعني انه قد خالف صريح الأمر الإلهي الدال على الأبناء والنساء والأنفس .

إضافة إلى انه خارج عن متواتر الروايات .

ثم أن إخراج أمير المؤمنين عليه السلام للمباهلة يعني انه من ضمن المأمور بإخراجهم ، وإلا لما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وحينئذٍ لابد من كلمة في الآية الكريمة تنطبق عليه عليه السلام وليس إلا كلمة (و أنفسنا) كما هو واضح .

إذن عبرت الآية الكريمة عن أمير المؤمنين بأنفسنا

نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ولما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوضع الخاص مالا يدانيه فيه أحد من الناس فهو الأعظم في الخلق على الإطلاق وسيدهم وهو الولي الأولى بالمؤمنين من أنفسهم كانت لأمير المؤمنين عليه السلام المنزلة والدرجة نفسها بمقتضى إطلاق كلمة (وأنفسنا) .

وهنا نتساءل هل يجوز لأحد أن يتقدم على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في حياته ؟

هذا لا يقول به مسلم . . وعليه لا يجوز لأحد أن يتقدم على أمير المؤمنين عليه السلام لأنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنص الآية فالمتقدم عليه يكون كالمتقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

من هذا التقرير نعرف بطلان ما قيل من احتمال كون المقصود بكلمة (أنفسنا) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه فكأنه يدعوا نفسه - إذ إضافة إلى عدم صحة دعوة الإنسان نفسه لاحظ قولك أريد أن أدعو نفسي - إضافة إلى

هذا لو كان هذا هو المقصود لما كان لا خراج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام إلى المباهلة أي وجه مصحح لأنه لا يكون حينئذ مأمورا إلا بإخراج النساء والأولاد و إخراج نفسه فلماذا اخرج معه أمير المؤمنين عليه السلام . . ولعمري هذا واضح وبشدة .

ثم أن هذه الآية الكريمة تدل على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام على سائر الخلق بمن فيهم الأنبياء والمرسلون أدم عليه السلام فمن دونه باستثناء نبينا الأكرم صلى الله عليه واله وسلم وتوضيحه يحصل بتشكيل قياس منطقي من الشكل الأول هكذا :

أمير المؤمنين عليه السلام نفس رسول الله بنص الآية .

ورسول الله صلى الله عليه واله وسلم افضل من سائر الخلق طراً بالإجماع .

فتكون النتيجة :

أمير المؤمنين عليه السلام افضل من سائر الخلق طرا.

ثم يأتي من يقول : أن أمير المؤمنين هو أفضل خلق الله تعالى

بعد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يمكن أن يصير مأموماً لغيره ويكون غيره اماماً عليه !!

قال تعالى : ﴿ فاسألوا أَهلَ الذِّكرِ إن كُنتُم لا تَعلَمُون ﴾ .
النحل (٤٣) الأنبياء (٧)

تفسير البرهان : عن محمد بن يعقوب ، عن الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشا ، عن عبدا لله بن عجلان ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول ا لله عز وجل : (فاسألو أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون) قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وآله وسلم : الذكر أنا و الأئمة أهل الذكر . وقوله عز وجل : (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) قال أبو جعفر عليه السلام نحن قومه ونحن المسؤولون .

وعنه : عن الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الوشا قال : سالت الرضا عليه السلام فقلت له : جعلت فداك (فأسالوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) فقال نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون ، قلت : فانتم المسؤولون ونحن السائلون ؟ قال : نعم ، قلت : حقا علينا أن نسألكم ؟ قال

نعم ، قلت : حقا عليكم أن تجيبونا ؟ قال : لا ، ذلك إلينا إن شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل أما تسمع قول ا لله تبارك وتعالى : (هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب) ؟

أقول : للذكر معنيان وردا في القران الكريم أحدهما (القران) ، يقول تعالى : (وانه لذكر لك ولقومك) .. والأخر الرسول صلى ا لله عليه وآله وسلم يقول تعالى : (أنا أنزلنا إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آياتنا) .

فان كان المقصود بالذكر في قوله تعالى : (فاسألوا أهل الذكر) الرسول صلى ا لله عليه واله وسلم فالآية واضحة في إمامة أهل بيته عليهم السلام ، إذ يكون المقصود حينئذٍ اسألوا أهل رسول ا لله فيما تحتاجون فيكونون هم المرجع ، وهذا معنى الإمامة .

وان كان المقصود بالذكر (القرآن) فيكون معنى الآية اسألوا أهل القرآن وحينئذٍ نتساءل : هل للقرآن أهل معينون أم لا ؟

إن قلت : لا ، فما معنى الأمر بسؤالهم ؟

وإن قلت نعم سألناك من هم هؤلاء ؟

وهل يمكن أن يكون للقران أهل مخصوصون ولا نعرفهم أو لا يعرفنا الشارع إياهم ؟

فهذا بحد ذاته دليل على وجود أناس لهم معرفة خاصة بالقران وقد امرنا بالرجوع إليهم واخذ الأحكام منهم .

ولو أضفت إلى هذه الروايات الدالة على انه لا يعرف القران إلا من خوطب به و أن أهل البيت أدرى بالذي فيه عرفت انطباق الآية على أهل البيت عليهم السلام تمام الانطباق .

لا تقل : أن المقصود بأهل الذكر اليهود والنصارى - كما قاله جمع من مفسري المخالفين - .

لأنا نسألك حينئذٍ : هل ترضى أنت أن تسأل اليهود والنصارى عن دينك وانه دين صحيح أو لا ؟

وان النبي صلى الله عليه واله وسلم صادق في قوله أم لا ؟

وإذا سألك أحد عن الدليل على صحة دينك تقول له : سألت اليهود والنصارى فأثبتوه !!

ثم هل رأيت يهودياً أو نصرانياً يقول أن الحق عند نبيك

و عند المسلمين ؟

أما إن قلت : أن المقصـود بـأهل الـذكر هـو مـن أسـلم مـن أهل الكتاب .

قلنا : فمن الذين أمرهم ا لله بسؤال أولئك هل هم المسـلمون أم الكفار ؟

أما المسلمون فلا حاجة بهم إلي سؤالهم كما هو واضح .

و أما الكفار فانهم لا يصدقونهم بعد إسلامهم .

ثم من قال : أن من اسلم من أهـل الكتـاب كـانوا مـن أهـل الـذكر ، وان كان فيهم من هو أهل علم فكم عددهـم ؟ . .

لابد انك تأتي باسم عبدا لله بـن سـلام أو كعـب الأحبـار ، و لنسأل كم كان علم هؤلاء حتى ينزل بشـأنهم قـران يتلـى إلى يـوم القيـام ويـأمر النـاس بسـؤالهم ؟ . . وهـل يصـح أن يقول القرآن في هذا الزمان مثلا اسألوا عبدا لله بـن سـلام أو كعب الأحبار ؟ . .هذه كلها ترهـات لابـد أن ننـزه كتـاب ا لله سبحانه عنها .

وأيضا ملاحظة مهمة وهـي أن السـؤال المـؤمـور بـه في الآيـة

مطلق لا يختص بالنبوة مثلا بل يشمل الفروع كالأصول فلابد من وجود أشخاص يعرفون هذا كله ، أي أن عندهم علم أصول الدين وفروعه بشكل شامل وكامل وهم أقوام باقون ببقاء الدهر والناس ليصح استمرار الأمر بسؤالهم وبالتالي أتباعهم وهنا نجد انطباق الحديث النبوي الذي رواه الفريقان : (إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فان اللطيف الخبير أنبأني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) ، لاحظ اجتماع العترة مع القرآن ، ولاحظ عدم الافتراق إلى ورود الحوض . . وبعد هذا كله هل يمكنك أن تجد من تنطبق عليه الآية الكريمة غير أهل البيت عليهم السلام ؟ .

قال تعالى : ﴿ وَ إِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبراهِيم ﴾ .الصافات (٨٣)

تفسير البرهان : شرف الدين النجفي قال : روي عن مولانا الصادق عليه السلام انه قال : قوله عز وجل: (وان من شيعته لإبراهيم) ، أي إبراهيم عليه السلام من شيعة علي عليه السلام قال : ويؤيد هذا التأويل أن إبراهيم عليه السلام ما رواه الشيخ محمد بن الحسن عن محمد بن وهبان عن أبي جعفر محمد بن علي بن رحيم ، عن عباس بن محمد ، قال حدثني أبي ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير يحيى بن أبي القاسم قال : سال جابر بن يزيد الجعفي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن تفسير هذه الآية (وان من شيعته لإبراهيم) فقال عليه السلام : أن الله سبحانه لما خلق إبراهيم عليه السلام كشف له عن بصره فنظر فرأى نورا إلى جنب العرش فقال: الهي ما هذا النور ؟ فقيل : هذا نور محمد صلى الله عليه واله وسلم صفوتي من خلقي ، ورأى نورا إلى جنبه فقال : الهي وما هذا النور ؟ فقيل له : هذا نور علي بن

أبي طالب ناصر ديني ، ورأى إلى جنبهما ثلاثة أنوار فقال : الهي وما هذه الأنوار ؟ فقيل : هذه نور فاطمة ، فطمت محبيها من النار ونور ولديها الحسن والحسين ، فقال : الهي وارى تسعة أنوار قد حفوا بهم قيل : يا إبراهيم هؤلاء الأئمة من ولد علي وفاطمة ، فقال إبراهيم : الهي بحق هؤلاء الخمسة إلا عرفتني من التسعة فقيل يا إبراهيم أولهم علي بن الحسين وابنه محمد وابنه جعفر وابنه موسى وابنه علي وابنه محمد وابنه علي وابنه حسن والحجة القائم ابنه ، فقال إبراهيم الهي وسيدي أرى أنوارا قد احدقوا بهم لا يحصي عددهم إلا أنت ، قيل يا إبراهيم هؤلاء شيعتهم شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال إبراهيم : وبما تعرف شيعته ، فقال : بصلاة إحدى وخمسين .. والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم .. والقنوت قبل الركوع .. والتختم باليمين ، فعند ذلك قال فعند ذلك قال إبراهيم : اللهم اجعلني من شيعة أمير المؤمنين ، قال : فاخبر الله في كتابه فقال : (و إن من شيعته لإبراهيم) .

أقول : قال غير الشيعة من المفسرين أن المقصود بالضمير في شيعته هو نوح عليه السلام لورود ذكره عليه السلام قبيل ذلك .

ونحن نرد أولا ما قالوه ثم نعود إلى ما نعتقده فنقول : صحيح إن ذكر نوح عليه السلام قد جاء قبيل ذلك ، إلا أن ذكر إبراهيم عليه السلام جاء بعد أن تم الكلام حول نوح عليه السلام فالآيات الكريمة قد جاءت هكذا ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . . . . إلى قوله تعالى : سلام على نوح في العالمين أنا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين و إن من شيعته لإبراهيم .

فنلاحظ أن الكلام المرتبط بنوح عليه السلام قد انتهى بالآية الكريمة (ثم أغرقنا الآخرين) . . هذا أولاً . . و أما ثانياً : وهو الأقوى - انه لا معنى واضح لكون إبراهيم عليه السلام - وهو نبي من أولي عزم له دين مستقل من شيعة نوح عليه السلام ، وذلك أن المشايعة هي المتابعة ، فما معنى أن يكون إبراهيم عليه السلام متابعا لنوح عليه السلام ؟ . . إلا أن

يتكلف بأنه كان على دين التوحيد كما كان نوح عليه السلام إلا أن هذا ليس مشايعة لنوح و إنما هو متابعة للحق فهل يصح أن يقال : أن زيد من الناس شيعة لعمرو لمجرد اجتماعهما على التوحيد ؟

إن قلت : أذن فما معنى كون إبراهيم عليه السلام شيعة لأمير المؤمنين عليه السلام . . قلت : دلت الروايات على أن الولاية العامة والإمامة قد عرضت منذ بدء الخليقة على كل الأنبياء والمرسلين بل على سائر المخلوقات بما فيها الحيوانات والنباتات والجمادات اقر من بها اقر و أنكرها من أنكر ولان إبراهيم عليه السلام كان ممن اقر بها قطعا ودونما تردد صح أن يقال عنه أن من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

ولك بعد هذا أن تتخيل عظم منزلة أمير المؤمنين عليه السلام حيث يكون إبراهيم عليه السلام خليل ا لله ونبيه واعظم أولي العزم - بعد رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم - شيعة له.

قال تعالى : ﴿ إِنّما أَنتَ مُنذِرٌ ولِكُلّ قَومِ هادِ ﴾ .الرعد (٧)

تفسير البرهان : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن بريد العجلي ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول ا لله عز وجل : (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فقال: رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم المنذر ، ولكل زمان منا هاد يهديهم إلى ما جاء نبي ا لله ، ثم الهداة من بعده علي ثم الأوصياء واحدا بعد واحد .

أقول : بالنظر الأولى نجد في الآية الكريمة احتمالين : الأول : أن تكون الواو في (لكل) عاطفة أي انك يا رسول ا لله منذر وهاد لكل قوم .

والثاني : أن تكون استئنافية أي انك منذر وقد جعلنا لكل قوم هاديا أما المعنى الأول فترده أمور ثلاثة :

أ) تغير السياق من دون مبرر ظاهر إذ كان حق السياق هكذا إنما أنت منذر وهاد لكل قوم ، وقد يحاول تبرير ذلك لكن بتكلف .

ب) أن الواقع الخارجي على خلاف هذا المعنى لان هناك كثيرا من الأقوام لم يكن النبي صلى الله عليه واله وسلم هاديا لهم كالأمم السابقة .

جـ) كان لابد من الجمع لكلمة قوم فيقال لكل الأقوام هاد ، إذ لا معنى للإفراد بناء على هذا المعنى وهو واضح بالتأمل.

إذن الصحيح هو المعنى الثاني أي أن لكل قوم في الدنيا على مر العصور هاديا . هذا الهادي لابد أن يكون معصوماً لقوله تعالى : (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) .

وواضح أن كل شخص غير معصوم لا يمكنه أن يهدي إلا أن يهدى .

إذن فالهادي المقصود بالآية (ولكل قوم هاد) هو المعصوم ولم تدع العصمة لغير النبي وأمير المؤمنين والزهراء اللائمة الطاهرين عليهم جميعا صلوات الله تعالى فثبت المطلوب وهو انهم الهادون وكل إمام منهم هاد لأهل زمانه . وأيضا تدل الآية الكريمة على وجود إمام العصر عجل الله تعالى فرجه

بيننا لأننا قوم ولكــل قـوم هـاد فلنـا إذن هـاد وإمـام معصـوم
وليس إلا هو عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ **أَفَمَن يَهدي إِلى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتبَّعَ أَمَّن لا يَهِدِّي إلاّ أَن يُهدى فَما لَكُم كَيفَ تحكُمُونَ** ﴾.

يونس (٣٥)

تفسير البرهان : محمد بن يعقوب ، عن عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدا لله ، عن عمرو بن عثمان ، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير عن أبي عبدا لله عليه السلام قال : لقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام بقضية ما قضى بها أحد كان قبله ، وكانت أول قضية قضى بها بعد رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم ، وذلك انه لما قبض رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم أفضى الأمر إلى أبي بكر ، أتى برجل قد شرب الخمر ، فقال أبو بكر أشربت الخمر ؟ فقال الرجل : نعم ، فقال : ولم شربتها وهي محرمة ؟ فقال : أني لما أسلمت ، منزلي بين ظهراني قوم يشربون الخمر ويستحلونها ولو اعلم إنها حرام اجتنبتها ، قال : فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال : ما تقول يا أبا حفص في أمر هذا الرجل ؟ فقال : معضلة وأبو الحسن عليه السلام لها ، فقال أبو بكر : يا غلام

ادع لنا علياً عليه السلام ، فقال عمر : بل يؤتى الحكم في منزله، فأتوه ومعهم سلمان الفارسي فأخبروه بقضية الرجل فاقتص عليه قصته ، فقال علي لأبي بكر أبعث به من يدور به علي بمجالس المهاجرين والأنصار ، فمن كان تلا عليه آية التحريم فليشهد عليه ، فإن لم يكن تلا عليه آية التحريم فلا شيء عليه ، ففعل أبو بكر بالرجل ما قال علي عليه السلام فلم يشهد عليه أحد فخلى سبيله ، فقال سلمان لعلي عليه السلام : لقد أرشدتهم فقال علي : إنما أردت أن اجدد تأكيدا بهذه الحجة عليهم الآية في وفيهم (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) .

أقول : الناس قسمان قسم منهما غير المعصومين وهم الأغلبية الساحقة، وهؤلاء لا يمكنهم أن يكونوا هادين إلا بعد أن يهدون .

والقسم الثاني المهديون دون ما حاجة إلى من يهديهم من الناس أي أن هدايتهم إلهية ، وقد قررت الآية لزوم إتباع هذا

القسم ومنعت إتباع القسم الأول بصيغة الاستفهام والاستنكاري .

فالآية إذن تثبت موضوعا وحكما ، أما الموضوع فهو وجود أناس مهديين أساسا ولا يحتاجون إلى هاد بشري ، و أما الحكم فهو لزوم إتباع هؤلاء وترك غيرهم .

وقد تقرر سابقا انه لا معنى للأمر بإتباع أناس ذوي صفة معينة دون أن يكونوا معروفين مشهورين يمكن لعامة الناس أتباعهم والسير خلفهم ولم تدع هذه المنزلة - بل لا يمكن ادعاؤها - لغير أمير المؤمنين و أبنائه الطاهرين عليهم السلام فانهم العالمون غير المعلمين الذين ورد النهي عن تعليمهم معللاً بأنهم اعلم منكم .

قال تعالى : ﴿ **وَعَلَى الأَعرَافِ رِجالٌ يَعرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُم** ﴾ . الأعراف (٤٦)

تفسير البرهان : عن سعد بن عبدا لله في بصائر الدرجات قال : حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن عبدا لرحمن بن أبي هاشم ، عن أبي سلمه سالم بن مكرم الجمال ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول ا لله عز وجل (وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كلا بسيماهم) قال : نحن أولئك الرجال ، الأئمة منا يعرفون من يدخل النار ومن يدخل الجنة كما تعرفون في قبائلكم الرجل منكم فيعرف فيها من صالح أو طالح .

وعنه عن احمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن محمد بن فضيل الصيرفي ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام واسحق بن عمار عن أبي عبدا لله عليه السلام في قول ا لله عز وجل : (وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كلا بسيماهم) قال : هم الأئمة عليهم السلام .

أقول : هناك شيء اسمه الأعـراف وباسمه سـورة كاملـة هـي سورة الأعراف واختلفوا في معنـاه إلا انـه إجمـالا منطقـة بـين الجنـة والنـار، والآيـة تصـرح بـان هنـاك رجـالا يقفـون علـى الأعراف يوم القيامة ولهؤلاء الرجال منزلة عالية لتصريح الآية الكريمة بأنهم يعرفون كلا بسيماهم وكلمة (كـلا) قطعـت عنهـا الإضافـة ويفـترض أن التقديـر (كـل النـاس) وذلـك للإطلاق وعدم دليل على القيد .

وواضح أن من لهم مثل هذه المعرفة ليسـوا أناساً عـاديين بـل هم رؤوس ورؤساء ، وإلا فما معنى وقوفهـم علـى الأعـراف مع معرفتهم بالناس جميعا في الحشر وهذه هي الإمامة .

إذن : الأئمـة يقفـون علـى الأعـراف ويشـرفون علـى النـاس لتدبير أمرهم أيا كان ذلك الأمر وذلك التدبير .

ومن هنا نسأل : هل يعقل أن يجعل الله سـبحانه للنـاس أئمـة لهم تلك المنزلة الرفيعة والدرجـة الجليلـة ولا يعرّفهـم خلقـه ؟ قطعا هذا مرفوض والنتيجة المستخلصة أن هناك أئمـة عرفهـم الله تعالى خلقه منزلتهم أعلى مـن منـازل النـاس جميعـاً ، ولم

يدع ذلك ولم يعرف لغير الأئمة الأثنى عشـر عليهـم السـلام فوجب أن يكونوا هم المقصودين.

قال تعالى : ﴿ اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دينَكُم وَأتَمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ ديناً ﴾ .

المائدة (٣)

تفسير البرهان : قال علي بن إبراهيم ، قال حدثني أبي ، عن صفوان بن يحيى ، عن العلا ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام : أخر فريضة أنزلها الله الولاية ثم لم ينزل بعدها فريضة ثم انزل (اليوم أكملت لكم دينكم) بكراع الغميم فأقامها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بالجحفة فلم تنزل بعدها فريضة .

أقول : تنص الآية الكريمة على وجود يوم اكمل الله سبحانه فيه الدين و أتم فيه النعمة على المسلمين ، ورضى لهم الإسلام دينا يتعبدون به .

لابد أن يكون هذا اليوم بعد نزول التكاليف الشرعية الأساسية من صلاة وصيام وزكاة ونحوها ليمكن حصول هذا الوصف - الإكمال - وهذا يعني انه كان في أواخر عصر

النبوة الشريف .

وقد تكلم المفسرون والمؤرخون في وقت نزولها ، فقال غير الشيعة إنها نزلت في حجة الوداع في عرفات أو يوم النحر ، ورووا في ذلك روايات عن بعض الصحابة .

لكن هذا الكلام مردود ومرفوض لعدم ارتباط لليومين المذكورين - بما هما - بإكمال الدين وما يتبعه . كما لا زالت مجموعة أعمال تابعة للحج باقية والانتهاء منها في اليوم الثاني عشر هذا أولا .

ثم نتساءل عن معنى قوله تعالى (رضيت لكم الإسلام ديناً) وهل أن الله سبحانه لم يرض الإسلام ديناً لهم قبل ذلك اليوم ؟ من الواضح أن الأمر ليس كذلك . أي أن ليس مجرد الإتيان بأعمال الحج أو أجزاؤه الأخيرة يعني ارتضاء الله سبحانه الإسلام ديناً لهذه البشرية .

فالقضية إذن بمثابة الشرط للإسلام وان هناك أمرا صار سببا لاعتبار الإسلام كدين متكامل مرضيا به أي أنّه حصل شرطه المطلوب لقبوله .

وبعبارة أوضح : هناك أمر في يوم معين صار سبباً لقبول الإسلام بمجموعه دينا ، ونقصد بمجموعه ما يشمل الفرائض كلها بما فيها الحج ، فهو أمر آخر غير الفروع الفقهية الأساسية .

فما هذا الأمر الذي به كمال الدين وتمام النعمة ورضى الرب عز وجل؟

للامة فيه قولان أحدهما ما مر من أنه بعض مناسك الحج وقد مر رده وعدم صحته جملة وتفصيلا .

وثانيهما : الولاية وتأمير أمير المؤمنين عليه السلام ونصبه بالشكل الرسمي على الأمة إماماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا القول هو المتعين لانطباق الأوصاف السابقة عليه تمام الانطباق هذا أولا ، ولانحصار الأمر فيه ثانيا إذ المفروض انتفاء الأمر الأول ولا احتمال ثالث في البين .

ومما يدل على هذا المعنى بشكل واضح صدر الآية الشريفة وهو قوله تعالى (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا

تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت . . . الخ) .

وذلك انه لا معنى ليأس الكفار من الدين الإسلامي لمجرد أن المسلمين حجوا أو وقفوا بعرفات أو طافوا ، و إنما يكون اليأس بحصول أمر تكون للدين فيه استمرارية ودوام وفيه زوال الوهم بأنه بوفاة الرسول صلى الله عليه واله وسلم ينتهي أمر الدين وليس ذلك إلا الإمامة العظمى التي بها قوام الإسلام وبقاؤه وبها يتحقق يأس الكفار من نيل هذا البنيان القويم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ . الكوثر

تفسير الميزان : وقد اختلفت أقوالهم في تفسير الكوثر اختلافاً عجيباً ، فقيل : هو الخير الكثير ، وقيل نهر بالجنة ، وقيل حوض النبي صلى الله عليه واله وسلم في الجنة أو في المحشر وقيل أولاده ، إلى أن قال : وقد نقل عن بعضهم انه أنهى الأقوال إلى ستة وعشرين وقد استند في القولين الأولين إلى بعض الروايات وباقي الأقوال لا تخلوا من تحكم ، و كيف ما كان فقوله في آخر الصورة (إن شانئك هو الأبتر) وظاهر الأبتر هو المنقطع نسله وظاهر الجملة إنها من قبيل قصر القلب – أن كثرة ذريته صلى الله عليه واله وسلم هي المراد وحدها بالكوثر الذي اعطيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم . . . الخ كلامه .

أقول : هناك أقوال متعددة في معنى الكوثر ، منها أنه نهر في الجنة له ميزات خاصة ، ومنها أنه الخير الكثير ، ومنها أنه

النسل الكثير.

وهذه الأمور كلها ممكنة ومحتملة وقد يكون المقصود في الآية الكريمة جميعها إلا أن المعنى الأخير وهو كثرة النسل معنى أقوى ومؤيد بالآية الأخيرة من السورة المباركة .

وذلك : إن الآية الأخيرة تشير إلى أن شخصا شانئا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصمه بأنه أبتر فجاءت الآية رادة عليه بأنه هو الأبتر المنقطع الذرية والعقب . وكان الآية الأولى جاءت تبشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه معوض عن موت ولده بشيء عظيم يقوم مقامه والذي يناسب ذلك هو كثرة النسل أي انك يا رسول الله ستعطى كثرة النسل والذرية خلافا لشانئك الذي هو سينقطع نسله ويكون ابتر. إما التعويض بنهر أو بخير آخر غير الذرية فهو مع إمكانه إلا انه لا يتلاءم تلك الملاءمة مع الموضوع ذي البحث .

وعليه نقول : الذرية وكثرة النسل وحدهما ليسا بذي أهمية ما لم يقترنا بدرجة من الإيمان و التوقى ، ثم إذا جعلا

للرسول كجائزة ورد على المتهمين بأنه الأبتر فذلك يعني درجة أعلى من المتعارف .

وواضح أن نسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء لا غير ، كما انه من الواضح أن الحسن والحسين و الأئمة الأطهار هم أعلى مصاديق تلك الذرية الطاهرة ، وهؤلاء اتخذوا مواقف من أهل زمانهم ومن حكامهم كما اتخذ أولئك منهم مواقف وبموجب الآية الكريمة يكون الحق مع أبناء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الطاهرين لأنهم مرضي عنهم وبالمقابل يكون أعداؤهم على الباطل ، إذن فالخط الذي يمثله أهل البيت هو الحق وخلافه هو الباطل .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرى ا للهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ والمُؤْمِنُون ثُمّ تُرَدونَ إلى عَالِم الْغَيْبِ وَالشَهادَةِ فَيُنبِئكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلون ﴾ . التوبة (١٠٥)

تفسير البرهان : عن محمد بن يعقوب ، عن عدة من أصحابنا عن احمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي عن عبدا لحميد الطائي ، عن يعقوب بن شعيب ، قال: سالت أبا عبدا لله عليه السلام عن قول ا لله عز وجل : (وقل اعملوا فسيرى ا لله عملكم ورسوله والمؤمنون) قال : هم الأئمة .

أقول : الآية الكريمة صريحة في أن الأعمال التي سيقوم بها الناس سيراها ا لله سبحانه ورسوله صلى ا لله عليه وآله وسلم والمؤمنون .

إما أن ا لله سبحانه يراها فهو واضح ، إنما الكلام في رؤية الرسول صلى ا لله عليه وآله وسلم والمؤمنين لها . وكيف يكون ذلك .

نفهم أن الرسول صلى ا لله عليه واله وسلم في أيام حياته وعند معاينته للناس الذين حوله و لأعمالهم يعرف صالح أعمالهم من طالحها وصحيحها من فاسدها .

لكن الآية تشمل ما بعد تلك الأيام إلى يوم القيامة وتشمل الأعمال الأخرى التي لم يفعلها الناس أمام النبي صلى ا لله عليه واله وسلم وهذا يعني علما غيبيا غير العلم الناشئ عن الوضع العادي .

إذن : فالمقصود برؤية الرسول صلى ا لله عليه وآله وسلم لإعمال العباد في الآية الكريمة الرؤية الغيبية التي يطلعه ا لله عز وجل في كل زمان وفي كل مكان . للسياق مع رؤية ا لله تعالى لها أولا ولعدم فائدة تذكر أو منقبة في رؤيته لها بالوضع المتعارف ثانيا و بأطلاقها الشمولي ثالثا .

وعلى نفس النسق والمنوال تكون رؤية المؤمنين لتلك الأعمال وهو واضح جداً . لكنا نعلم وجدانا أن ليس كل مؤمن له معرفة غيبية كما أن كل واحد من المؤمنين يعرف شيئا محدودا من أعمال بعض المؤمنين الذين حوله ، بل كثيراً ما

تخفى أعمال شخص مقرب لشخص آخر عنه ويكتشف بعد مدة نِفاقه أولا يكتشفه ، إذن فالآية لا تتحدث عن كل المؤمنين ولا بد من وجود مؤمنين خاصين لهم علم غيب واسع جدا بحيث يعلمون أعمال العباد جميعا في كل زمان وكل مكان دقيقها و جليلها يرونها أمامهم معروضة كما أن هؤلاء لابد أن يكونوا معروفين عرفهم الشارع الأقدس لخلقه فيما تصح مخاطبته لهم بان اعملوا فان المؤمنين سيرون أعمالكم ، فمن هم هؤلاء ؟

لاشك انهم أئمة الخلق وإلا لما كان هناك داع أو معنى لعرض أعمال الخلق عليهم والإمامة بهذا المعنى لم تنسب إلى أحد سوى الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام فوجب أن يكونوا هم المقصودين بنفس التقارير السابقة بل لا تليق بغيرهم فهي لهم وهم لها .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ .

الزخرف (٤)

تفسير البرهان : علي بن إبراهيم ، حدثني أبي ، عن حماد ، عن أبي عبدا لله عليه السلام في قوله : الصراط المستقيم ، قال : هو أمير المؤمنين صلوات ا لله عليه ومعرفته ، والدليل على أنه أمير المؤمنين من قوله (وانه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) .

تفسير البرهان : محمد بن العباس ، عن احمد بن إدريس ، عن عبدا لله بن محمد بن عيسى ، عن موسى بن القسم ، عن محمد بن علي بن جعفر قال : سمعت الرضا عليه السلام هو يقول : قال أبو عبدا لله عليه السلام وقد تلا هذه الآية (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) قال : علي بن أبي طالب عليه السلام .

أقول : في الآية بادئ النظر احتمالان :الأول : عود الضمير في (انه) إلى القران وقالوا بان المقصود بأم الكتاب اللوح

المحفوظ فيكون المعنى أن القران لدينا في اللوح المحفـوظ لعلـيّ حكيم .

الثاني : عود الضمير إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأم الكتاب سـورة الحمـد وان المقصـود بكونـه في أم الكتـاب انـه عليـه السلام المراد بالصراط المستقيم في قوله تعالى : إهدنا الصـراط المستقيم ، فيكون المقصود : أن أمير المؤمنين حالة كونه لدنيـا في سورة الحمد لعلي حكيم .

ولنناقش الاحتمال الأول حتى إذا استبعد تعين الثاني .

فنقول : ما معنى كون القـران في اللـوح المحفـوظ ؟ هـل هـو جزء منه ، هل هو مكتوب فيه ، هل صفتـه انـه علـي حكيـم فيه ؟ هذه ثلاثة احتمالات .

أما الأولان (الجزئية والكتابة) فينافيهما ذكـر وصـف العلـي الحكيم ، إذ كان يكفي . القول : إنه في أم الكتاب لدينا .

إن قلت : لا باس بإضافة الوصف .

قلـت : نعـم ، لكنـه يزيـل ظهـور الآيـة في المعنيـين الأولـين ويحصره في الثالث فيكون (العلي الحكيم) خبر (أن) ، إمـا

على الأولين فالخبر هو : (في أم الكتاب) فتدبر .

وعلى هذا المعنى الثالث نقول : إن وصف القران بكونه عليا واضح ، أما وصفه بأنه حكيم فيحتاج إلى تأويل ،لان صفة حكيم موضوعه للأشخاص لا للكتب .

فالكتاب يوصف بان فيه حكمة . ثم أن القران علي وفيه حكمة عند ا لله تعالى وملائكته وأنبيائه والمؤمنين والعقلاء كافة فما وجه تخصيص ذلك بكلمة (عندنا) ؟ .

فهذه كلها مضعفات لهذا المعنى ، أما على القول بعود الضمير إلى أمير المؤمنين عليه السلام فإنه لا إشكالات لغوية تأتى ولا خروج عن ظهور الآيات الكريمة ، بل جمع للآيات بشكل سلس واضح ، لاحظ معي أن سورة الفاتحة هي السورة الأهم والأعظم في القران - لذا وجبت قراءتها في كل صلاة - فهي إذن أم الكتاب .

وفيها الطلب بالهداية إلى صراط المستقيم ، والآية تقول : وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم فانطبقت الآية على الآية تمام الانطباق ، الاسم الشريف علي ، وهو عليه السلام حكيم

وأي حكيم فإذا كان المقصود بالصراط المستقيم ولايته وإمامته صار المعنى وبلا تكلف : أن عليا الحكيم مذكور في أم الكتاب ، وكلمة (لدينا) تشير إلى أن هذا المعنى هو عند الله سبحانه ولولا بيانه من قبله تعالى لما عرفنا أن المقصود بالصراط المستقيم ذلك .

فيزول حينئذ إشكال الوصف بالحكيم الذي مر أنه صفة للأشخاص وإشكال عندنا وسائر ما مر .

قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيءٍ أحصَيناهُ في إِمامٍ مُبينٍ ﴾ .

يس (١٢)

تفسير البرهان : وذكر ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : أنا وا لله الإمام المبين ، أبين الحق من الباطل ، ورثته من رسول ا لله صلى ا لله عليه واله وسلم .

أقول : الآية صريحة في وجود إمام يبين للناس أمورهم ، أو هو بين ظاهر – على الاختلاف في معنى كلمة المبين – وان هذا الإمام عنده علم كل شيء . فما أوضحها من آية تدل على المطلوب بكل جلاء وظهور . نحن نقول : أن عندنا أئمة اثنى عشر منصوبين من قبل ا لله سبحانه وتعالى ، أولهم أمير المؤمنين وأخرهم الحجة المنتظر عليهم السلام وهؤلاء الأئمة عندهم علم الأولين والآخرين وانهم بيّنون معروفون بأسمائهم و أسماء آبائهم واحدا بعد واحد ومبيّنون للأحكام الإلهية . والآية الكريمة تقول ذلك أيضا فالانطباق بين الآية ومقالتنا واضح جدا .

فماذا يقول الآخرون ، وكيف يفسرون الآية ؟ أتدرون ما يقولون ، يقولون الإمام هو القران !! نسألهم : هل هذا هو الظاهر من لفظ الإمام ، ولو سالت أي شخص هل يفهم منها إلا شخصا وإنسانا يؤتم به.

ثم لو كان المقصود بالإمام القران وكان كل شيء مكتوبا فيه فما الاستفادة الحاصلة لنا بذلك والحال إنا لا ندركه - إذ لو كان الأمر كذلك لكانت العلوم فيه مخفية لا يدركها من الناس إلا من عنده علم الغيب - فإذا لا يتحقق وصف المبين فيه . أما الإمام الحي فهو ناطق ومبين كما هو واضح .

قال تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُم على المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئوني بِأَسماءِ هؤُلاءِ إِن كُنتُم صَادقِينَ** .. إلى قوله تعالى **فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسمائِهِم** ﴾ الخ الآية. البقرة (٣١)

تفسير البرهان : ابن بابويه ، قال : حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي ، عن محمد بن إسماعيل البرمكي ، عن الحسين بن سعيد ، عن محمد بن زياد ، عن ايمن بن محمد ، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام : أن الله تبارك وتعالى علم آدم أسماء حججه كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين بأنكم أحق بالخلافة في الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم ، فقالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال الله تبارك وتعالى : يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنباهم بأسمائهم وقفوا على عظم منزلتهم عند الله عز ذكره فعلموا بأنهم أحق بان يكونوا خلفاء الله في أرضه ، وحججه في

بريته ، ثم غيبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم وقال لهم : ألم أقل لكم أني اعلم غيب السموات والأرض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون .

ثم قال ابن بابويه : وحدثنا بذلك أحمد بن الحسن القطان ، قال : حدثنا الحسن بن علي السكبري ، قال محمد بن زكريا الجوهري قال جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام .

أقول : تحدث المفسرون في المقصود من الأسماء التي علمها الله تعالى لآدم عليه السلام ، وقال كثير منهم : أنها أسماء الأشياء والأجناس والأنواع فهذا شجر وهذا حجر ، وهذا كتاب وتلك ثياب وهكذا . وقالت الرواية : إنها أسماء الأئمة عليهم السلام .

ولنناقش ما قاله المفسرون فنقول : بأي لغة ذكرت أسماء الأجناس والأشياء ونحن نرى وجدانا اختلاف أسمائها حسب اختلاف اللغات؟

إن قلت بلغة معينة - كالعربية مثلاً - قلنا بأي دليل ؟ وهل

كان آدم عليه السلام يتحدث بالعربية ؟ وان قلت : بكل اللغات ، قلنا : بأي دليل ؟ ثم ما معنى أن يقال له : هذا الشيء بالعربية كذا وبالفارسية كذا وبالهندية كذا . . الخ مع عدم وجود هند أو سند أو غيرها حينذاك . ثم إذا كان في الهند وحدها خمسة آلاف لغة أو اكثر فهل كل شيء عرض على آدم عليه السلام ذكرت له آلاف الألفاظ وهل يعقل هذا ؟ وما فائدته أصلا .

ما علينا ولننتقل إلى الأشكال الأهم وهو انه لو كان المقصود أسماء الأشياء لكان المفترض أن تقول الآية الكريمة ثم عرضها على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هذه . . . . فلما أنبأهم بأسمائها ، فلماذا جيء بضمير العاقل في كل هذه الموارد ؟ قالوا : لوجود العقلاء فيهم عبر هكذا ، قلنا : هذا لا يكفي مصححا خصوصا والإنسان أحد الأنواع وتقابله أنواع أخرى لا تعد ولا تحصى ومن المعلوم انه لا يؤتي بكل فرد من الإنسان ويذكر اسمه ولو كان كذلك للزم الإتيان بكل فرد من الحيوان والنبات والجماد وهو كما ترى .

إذن فالآية ظاهرة الدلالة وواضحة جدا في أنها تتحدث عن أسماء أشخاص علموا لآدم عليه السلام ثم تم عرض صورهم على الملائكة .

وحينئذ لابد أن يكون لهؤلاء الأشخاص من العظمة والجلالة درجة يكونون معها مركز الاختبار الإلهي للملائكة ،ويكون إعلامهم لآدم عليه السلام وتعليم أسمائهم له سببا لرفعة شان آدم عليه السلام على الملائكة ، أي أن معرفة آدم عليه السلام لأسمائهم كان سببا كافيا جدا لتقدمه وتقدم الجنس البشري واستحقاق وجوده .

وهذه الأسماء لا تعدو كونها أسماء الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام ولم يدع أحد إنها اسماء لأنبياء - وحتى لو ادعي فدعواه بلا بيّنة ولا برهان - فانحصر الأمر في الأئمة عليهم السلام ولزم أن يكونوا هم المقصودين، وإذ ثبت هذا ثبت تقدمهم على الخلق أجمعين وبالتالي ولايتهم وإمامتهم عليهم السلام .

قال تعالى : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلاّ الـمُطَهَّرونَ ﴾ . الواقعة (٧٩)

أقول : هناك فرق كبير بين الطاهر والمطهر ، وكذا بين المطهر والمتطهر لان المطهر (بصيغة اسم المفعول) هو الذي طهره الله سبحانه في حين أن المتطهر هو الشخص الذي يتطهر بنفسه فإذا فعل ذلك كان موصوفا بأنه طاهر .

وعليه : فالآية الكريمة تنص على وجود أقوام مطهرون طهرهم الله عز وجل وان هؤلاء فقط لا غيرهم الذين يمسون القران الكريم أو الكتاب المكنون ومعنى مسهم إياه ظاهرا إداركهم كنه معانيه وحقائقه لا المس البدني وإلا فهذا ممكن لغيرهم أيضا .

وبما أن القران يفسر بعضه بعضا وجب أن نبحث فيه عن آية تذكر أقواما طهرهم الله عز وجل وسنجدهم فورا في قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذ هب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . وقد مر علينا تحقيق في أن أهل البيت عليهم السلام هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين

عليهم السّلام . فهم العالمون بحقائقه ودقائقه ، ولم يعطوا هذا العلم عبثا بل لأنهم سادة الخلق و أفضلهم طرا وبالتالي هم أئمتهم وقادتهم .

قال تعالى : ﴿ **أَطِيعُوا ا للهَ وَ أَطيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولي الأَمرِ مِنكُم** ﴾ . آل عمران (٢٣)

تفسير البرهان : ابن بابويه قال : حدثنا غير واحد من أصحابنا ، قالوا : حدثنا محمد بن همام ، عن جعفر بن محمد الفزاري ، عن الحسين بن محمد بن سماعة عن احمد بن الحرث ، قال : حدثني المفضل بن عمر ، عن يونس بن ظبيان عن جابر بن يزيد الجعفي ، قال : سمعت جابر بن عبدا لله الأنصاري يقول : لما انزل ا لله عز وجل على نبيه محمد صلى ا لله عليه واله وسلم : (يأيها الذين آمنوا أطيعوا ا لله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم) قلت : يا رسول ا لله عرفنا ا لله ورسوله فمن أولوا الأمر الذين قرن ا لله طاعتهم بطاعتك ؟ فقال صلى ا لله عليه واله وسلم هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي ، أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر ستدركه يا جابر

فإذا لقيته فاقرأه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي محمد وكنيّي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان ، قال جابر : فقلت له يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته ؟ فقال صلى الله عليه واله وسلم إي والذي بعثني بالنبوة انهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان تجلاها (تحلاها خ) سحاب ، يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فأكتمه إلا عن أهله .

أقول : الآية الكريمة مطلقة في وجوب الإطاعة لله تعالى ولرسوله و لأولي الأمر ، أي أن أوامرهم ونواهيهم جميعها واجبة الامتثال والإطاعة ولا يجوز التخلف عن شيء منها وهذا كلام فيه بالنسبة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه

وآلـه وسلم فلابد أن يكون كذلك بالنسبة لأولي الأمر .

فمن هم أولو الأمر المعصومون الذيـن تجـب طـاعتهم في كـل صغيرة وكبيرة ؟ . . وما معنى ولاية الأمر هنا ؟

فمنهم من قال : أولو الأمر هم الرؤساء أو أمراء السرايا ومـن شابههم فوقعوا في شر أعمالهم ومقـالهم إذ لزمهـم أن يطيعـوا كل من سيطر عليهم فاسقا كان أو خـيرا وأيـة طاعـة ؟ إنهـا مثل طاعة ا لله ورسوله ! ! تصوروا انهم يرون حرمة التحـرك ضد الحاكم مادام مسلما ومن تحرك ضـده فدمـه مبـاح وهـو خارج على ولي أمر ، طيـب : لـو فرضنـا أن هـذا الشـخص الخارج تمكن من إزالة السابق والجلوس مكانـه فمـا حكمـه ؟ صار ولي أمر وتجب طاعته ! ! عجيب دقيقتان قبل أن يسيطر هو خارج على ولي أمره ويجب قتله وقتاله ، و لأنـه استطاع بعد الدقيقتين إزاحة الأول صارت إطاعته واجبة كإطاعـة ا لله ورسوله ! ! ثم كيـف يؤمـر بطاعتـه علـى الإطـلاق مـع انـه شـخص عـادي - إن لم يكـن اقـل مـن العــادي كمـا هــو الغالـب - فهـو - عـادة - يقنـن قوانـين غـير شرعيـة ويصدر

أوامر ونواهي حسب هواه - كما هو المشاهد على مر العصور والدهر - أليس معيبا ومخجلا - خصوصا في عالم اليوم - أن يقال : أن الإسلام قد أمر أتباعه بإطاعة حكامهم - ماداموا يصلون - وانتهى الأمر ، مع هذا الظلم و العتو والخروج عن الشرع ، أو الانشغال باللهو واللذة والقصور والخدم والحشم ، كل هذا وهم ولاة أمر لابد من إطاعتهم ولا يجوز الخروج عليهم ! ! إن هذا لشيء عجاب إذن فهذا المعنى مرفوض جملة وتفصيلا ، والآية تدل أولاً على عصمة أولي الأمر الذين امرنا بطاعتهم وإلا لما جاء الأمر مطلقا بوجوب الإطاعة .

ثانياً : تدل على عظمتهم ورفعتهم إلى درجة قرنت طاعتهم بطاعة ا لله ورسوله ، وهذا الوجه بحد ذاته دليل واضح على بطلان ما قاله غيرنا، إذ لا معنى لجعل أناس عاديين - بل واقل من العاديين على الأعم الأغلب - جعلهم سواء في الإطاعة مع ا لله سبحانه ورسوله صلى ا لله عليه واله وسلم .

وثالثاً : تدل الآية الكريمة على إمامة أولياء الأمر لوصفهم

بولاية الأمر وهذا معنى الإمامة وعلى وجوب طـاعتهم وهـذا معنى المأمومية .

وهذه الصفات كلها منحصرة في الأئمة من أهل البيت عليهم السلام إذ لا يوجد غيرهم معصوم ولا تجـد مـن لـه درجـة في الإطاعة تـوازي درجـة إطاعـة ا لله ورسـوله ولا مـن هـو ولي للأمر على الخلق سوى الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام فلزم أن يكونوا هم المقصودين وهو المطلوب .

قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابتلَى إِبراهيمَ رَبّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنيّ جَاعِلُكَ لِلّناسِ إِماماً ﴾ . البقرة (١٢٤)

تفسير البرهان : محمد بن علي بن بابوية ، قال : حدثنا علي بن احمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي ا لله عنه ، قال : حدثنا حمزة بن القاسم العلوي العباسي ، قال حدثنا جعفر بن محمد مالك الكوفي الفزاري ، قال حدثنا محمد بن الحسين بن زياد الازدي عن المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : سألته عن قول ا لله عز وجل : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) ما هذه الكلمات؟ قال : هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه وتاب عليه وهو انه قال : يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب ا لله عليه انه هو التواب الرحيم ، فقلت له يا بن رسول ا لله فما معنى : فأتمهن ؟

قال : يعني فأتمهن إلى القائم عليهم السلام إثنى عشر إماما تسعة من ولد الحسين عليه السلام قال : المفضل فقلت له يا

بن رسول الله : فاخبرني عن قول الله عزوجل : (وجعلها كلمة باقية في عقبه) .

قال : يعني بذلك الامامة جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة، قال : فقلت له : يا بن رسول الله فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن وهما جميعا ولدا رسول الله وسبطاه وسيدا شباب أهل الجنة ؟ فقال عليه السلام : إن موسى وهارون كانا نبيين مرسلين أخوين فجعل الله النبوة في صلب موسى ولم يكن لأحد أن يقول لم فعل الله ذلك وان الإمامة خلافة الله عز وجل وليس لأحد أن يقول : لم جعله الله في صلب الحسين دون صلب الحسن لان الله هو الحكيم في أفعاله (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)

أقول : هناك تفسيران للكلمات أحدهما إنها مجموعة أذكار فيها تسبيح وتهليل وما شاكلهما حسب اختلاف المفسرين في تفاصيلها .

والآخر انها أسماء أهل البيت عليهم السلام .

وكلا الأمرين بحد ذاته محتمل .

إلا أن الأول يضعف بأمور هي :

أ) أن تفسير الابتلاء بالذكر والتسبيح صعب القبول ، وذلك لان الابتلاء هو الاختبار والامتحان ولا معنى لان يقال أن الله اختبر إبراهيم عليه السلام بالتسبيح والتهليل ونحوهما كما هو واضح .

ب) انه لا ارتباط لهذا المعنى بكلمة (فأتمهن) ، ثم كيف أتمهن ؟

أمن قِبل نفسه فهذا لا يمكن أم من عند الله سبحانه فإذن لم يتمهن هو بل الله عز وجل .

ج) عدم ارتباط هذا المعنى بجعل إبراهيم عُقيب ذلك إماما (فأتمهن قال إني جاعلك للناس اماما) .

قال بعضهم : أن المقصود بالكلمات هنا البلايا والمصائب التي أصابت إبراهيم عليه السلام كإلقائه في النار وأمره بذبح ولده ونحو ذلك .

وهذا التفسير حل بعض الإشكالات السابقة كتسميتها ابتلاء أو التفريع بجعله اماما .

لكن تبقى إشكالات أخرى منها أن هذه ليست كلمات فهل البلية والمصيبة كلمة ؟ . . ثم ما معنى أتمهن ؟

إذن لابد من تفسير يمكن به دفع كل إشكال وليس أوضح مما ذكرته الرواية عن أهل البيت عليهم السلام من أن الكلمات هي الإمامة والولاية لأهل البيت عليهم السلام والإقرار بها حيث إنها أولا كلمات تلقاهن إبراهيم عليه السلام .

وثانيا هي امتحان واختبار عقائدي واضح ، وثالثا : تقول الرواية فأتمهن إلى القائم عليه السلام لان العرض كان أولا لولاية رسول الله وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام فقبلها إبراهيم ثم أتم ذلك إلى الحجة عليه السلام .

ورابعا : النجاح في الامتحان – وهو امتحان خاص بقضية الإمامة – يلائم تمام الملائمة نصب إبراهيم عليه السلام للإمامة .

والبقية عليك إذا كان الإقرار بهؤلاء الأئمة العظماء يعطي إبراهيم عليه السلام هذه المنزلة فما هي منزلتهم عليهم السلام أو ليسوا أئمة الخلق طراً ؟ .

فهرس الكتاب